

تفسير سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾

الْحَيُّ: الدائم الحياة بلا زوال .

الْقَيُّومُ: الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظهم .

وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ: ما فرق به بين الحق والباطل .

وَاللَّهُ عَزِيزٌ: غالب قوي، منيع الجانب .

إن خالق هذا الكون ومالكة ليس بإله آلي أو ميكانيكي، بل إله فعال لما يريد، ولقد بعث بهدايته إلى الإنسان في كل العصور، في صورة كتب أنزلت على الأنبياء السابقين مثل التوراة والإنجيل، غير أن الإنسان ما فتئ يحول دين الله الواحد إلى أديان عديدة متباينة؛ من جراء تحريفه كلام الله عن مواضعه، وتحميله إياه من ضروب المعاني والمدلولات ما لا يحتمل، إلى أن أنزل الله جل شأنه الكتاب الأخير - وهو القرآن الكريم - مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، فهو كتاب الهدي والتوجيه الصحيح للإنسان من جانب، ومن جانب آخر هو ((الفرقان)) أو ((المعيار الثابت)) الذي يمكن به التفريق بين الحق والباطل؛ فالقرآن يدل دلالة واضحة على الدين الحق؛ كما يكشف القناع عن الدين الزائف الذي اصطنعه الناس من عند أنفسهم على أساس من التفسيرات المزعومة والتأويلات الفاسدة،

إذن فإن الذين لا يؤمنون بكتاب الله ، أو لا يتخلون عن الدين الباطل القائم على آرائهم وتفسيراتهم المزعومة، يستحقون عند الله عذاباً شديداً ، إن هؤلاء أناس وهبهم الله تعالى أعيناً، ولكنهم لا يُبصرون بها، كما منحهم الله تعالى عقولاً ولكنهم لا يفقهون بها ، برغم ظهور الدليل أمامهم في أسطح صورهِ ، فلم يرضوا بالخضوع والاستسلام الفعلي للحق، من أجل كبريائهم.

ليس هنالك أحدٌ غير الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يُعرّف بهامية الذات الإلهية وصفاتها، ولا أن يحدد نوعية ما بين الذات الإلهية وبين المخلوقات الأخرى من علاقاتٍ وروابطٍ على الوجه الصحيح ولقد أوضح الله جل شأنه، كل هذه الأمور، في كتابه العزيز، بصورةٍ جليةٍ ، كما أن قضية تعيين كتاب هدي وتوجيه قويم للإنسان ليست بأقل خطورةً من القضية السابقة .

والموقف الوحيد الصحيح للإنسان هو الذي يكون منسجماً مع بقية العوالم الأخرى في هذا الكون ، وإن من يجهل حقيقة الإنسان ، وما يمر به من مراحل وأطوار شتى في مسيرة حياته، من يوم ميلاده إلى حين وفاته ، والذي يجهل كذلك ماذا جرى قبل أن تتم ولادته، وماذا سيجري بعد موته ؟ إن من يجهل كل ذلك لا يمكنه أبداً - بطبيعة الحال - أن يقرر المنهج العملي الصحيح للإنسان الذي يتبعه في الحياة الدنيا ، ومن المستحيل أن يكون هناك أحد على علمٍ مستوعب لهذه الحقائق - المنظورة وغير المنظورة - كلها، غير الذات الإلهية وحدها ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ، إذن فمن مقتضى الواقعية أن يعتمد الإنسان في هذا الشأن على الله تبارك وتعالى وحده، وعليه أن يأخذ الهداية من رسل الله إليه بكل ثقة وقوةٍ و يقين .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ: واضحات لا احتمال فيها ولا اشتباه .

أُمُّ الْكِتَابِ: أصله يرد إليها غيرها .

مُتَشَابِهَاتٌ: خفيات أستاثر الله بعلمها ، أو لا تتضح إلا بنظر دقيق

زَيْغٌ: ميل وانحراف عن الحق .

تَأْوِيلُهُ: تفسيره بما يوافق أهواءهم .

لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا: لا تملأها عن الحق والهدى .

كِدَابٍ: كعادة وشأن .

محتويات القرآن قسمان : أولها ما يتعلق بدنيا الإنسان ، مثل : الوقائع التاريخية، والآيات الكونية، والأحكام المتصلة بالحياة الدنيوية، وما إلى ذلك .

وأما القسم الثاني: فهو ما يتعلق بأمور الغيب، والتي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي مثل : الصفات الإلهية، وأحوال الجنة والجحيم .. إلخ .

وقد اتخذ القرآن أسلوباً محكماً ومباشراً، لبيان القسم الأول، أما القسم الثاني.. فاللغة البشرية غير قادرة على تصويره أو تصويرها على بيانها أو تصديرها على وجه صحيح ؛ لذا فقد تم عرض قضاياها بشكلٍ متشابه، أي بأسلوب التمثيل والتشبيه ؛ فإذا قيل مثلاً ((يد الإنسان)) فهذا مثال اللغة المباشرة وإذا قيل ((يد الله)) فهو مثال اللغة التمثيلية ، والذين لا يعون هذا الفرق، يقعون في الحيرة والضلال، ذلك لأن ماهية ((يد الإنسان)) يمكن فهمها على وجه التحديد ، غير أنه لا يمكننا أن نفهم ماهية ((يد الله)) على وجه التحديد كذلك، بواسطة عقولنا القاصرة .

إن الموقف العلمي والعقلي الصحيح من ((المشابهات)) هو أن يعترف المرء بقصوره ومحدوديته وأن يقتنع بالتصوّر الإجمالي عن تلك الأمور التي لا يتمكن من إدراكها ضبطاً بواسطة حواسه

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا أَغْنَتْهُمَا عَنْ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

وَبِئْسَ الْمِهَادُ: بئس الفراش ، والمضجع جهنم .

لَعِبْرَةٌ: لعظة ودلالة .

عندما تقوم دعوة الحق ، يحدث الصراع بين بيئة الوقت القابضة على الإمكانيات والوسائل المادية بكل أنواعها وبين موكب الحق الذي لا يملك من الوسائل المادية ما يمكنه من حسم الصراع لصالحه في هذه الظروف والأوضاع يغدو التقدم نحو الحق مرادفاً للانقطاع عن البيئة والحرمان من المنافع والمكاسب ، الأمر الذي يدفع المرء دفعا نحو إنكار الحق حرصاً على مصالحه الذاتية، ويجعله بالتالي يمتنع عن الانضواء الفعلي تحت راية الداعي، بعد أن يقطع صلته بأصدقائه وذوي قرابته .

غير أن هذه الأشياء التي تفرض نفسها الإنسان اليوم، لن تغني عنه يوم الحساب فتيلاً؛ إذ إن قيمة هذه الأشياء إنما تدوم ما دام الأمر بين الإنسان والإنسان، وأما إذا دارت دائرة القيامة وصار الأمر حينئذٍ بين الإنسان وبين الله رب العالمين، فإذا بهذه الأشياء كلها تفقد قيمتها تماماً .

إن الداعي يبدو في ظاهر الأمر مغلوباً على أمره في هذه الدنيا ، ولكنه هو الغالب في واقع الأمر ؛ لأن الله عز وجل يقف إلى جانبه ، وبالمقابل يبدو المنكر في ظاهر أمره غالباً، غير أنه ضعيف، غاية الضعف، ذاك لأن كل ما يملكه من قوة وبأسٍ ليس سوى مظهرٍ وقتيٍ خادعٍ .

إن معركة بدر الكبرى، التي وقعت في السنة الرابعة عشرة من النبوة، كانت أنموذجاً ذنوبياً للمشهد الذي سوف يُعرض في اليوم الآخر، حيث كان عدد منكري الحق في هذه المعركة وقوتهم العسكرية أكثر بكثير من عدد المؤمنين بالحق وقوتهم، وبالرغم من ذلك لقي المنكرون هزيمة غير عادية، في حين ظفر أتباع الحق بانتصار حاسم، وهذا برهان جلي على أن الله جل شأنه يقف دائماً إلى جانب أتباع الحق، فإن انتصاراً غير عادي كهذا برغم ما كان هناك من بونٍ شاسع بين الطائفتين، من حيث العدد والعدة لا يمكن أن يقع بدون نصرٍ من الله وتأييده وهو في الوقت نفسه مؤشر ظاهري يدل على مدى ضعف المنكرين للحق، وما يعانونه من حالة الضياع وعدم الاستقرار في أرض الله هذه.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٦٦﴾ ۗ قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٦٩﴾ ۗ

حُبُّ الشَّهَوَاتِ: المشتهايات بالطبع .

الْمُقَنْطَرَةُ: المضاعفة أو المحكمة المحصنة.

الْمُسَوَّمَةُ: المُعلَّمة أو المطهمة الحسان .

وَالْأَنْعَامِ: الإبل والبقر والضأن والمعز.

وَالْحَرْثِ: المزروعات .

حُسْنُ الْمَآبِ: المرجع الحسن

وَالْقَانِئِينَ: المطيعين الخاضعين لله تعالى .

بِالْأَسْحَارِ: في أواخر الليل إلى طلوع الفجر .

الدنيا مكان ابتلاء واختبار وفتنة ؛ حتى يمكن التمييز بين صنفين من بني البشر: مَنْ يقع فريسة الافتتان بالجاذبية الظاهرية الخلابية؛ فيندفع وراء أشياء الدنيا؛ وينغمس في لذاتها، ومن يتسامى بروحه ويربأ بنفسه عن ذلك، متطلعاً إلى أشياء الآخرة غير المرئية، فيتخذ منها مركزاً لتوجهاته وطموحاته .

يجد المرء نوعاً من السكينة والطمأنينة في اقتناء أشياء الدنيا؛ إذ هو ينظر فيرى أن هذه الأشياء تمثل دعائم يقوم عليها نفوذه الشخصي في مجتمعه، وأنه بها يتمكن من تحقيق كل أمانيه ورغباته، كما يستطيع أيضاً أن يكسب بذلك جنداً من الأعوان والأنصار يكونون دائماً رهن إشارته.

وتلك هي العقبة الكبرى في سبيل التقدم نحو مطالب الآخرة، والقيام بأعبائها، فإن إحساس المرء الزائد بأهمية الدنيا يجعله يغفل أو يتغافل عن الآخرة، فهو ينهمك في بناء مستقبل أولاده في الدنيا، لدرجة أنه لا يكاد يذكر أن هناك ((مستقبلاً آخر)) فيما وراء هذه الدنيا، ينبغي له أن يحسب لبنائه ألف حساب، ويبلغ حبه وشغفه بتعمير بيته في الدنيا مبلغاً، لا يدور معه بخلده مرةً أن هناك ((بيتاً آخر)) سواه، يجب عليه أن يُعنى بتعميره حق العناية، على أن هذه الأشياء بكل أنواعها وألوانها لا تعدو أن تكون مجرد رونق للحياة الحاضرة المؤقتة، وأنها لن تغني عن أحدٍ فتياً في الحياة القادمة الأبقى والأوسع مدى .

وكيف تكون الحياة، تلك التي يبارسها إنسانٌ قد اتخذ من الحياة الأخروية الدائمة مركزاً لتوجهاته وطموحاته؟! سوف تفقد مباحج الدنيا وزخارفها كل قيمها في نظره، ويمتلئ قلبه باليقين القائل بأن أمر الآخرة كله بيد الله تعالى وحده، مما يجعله أخشى الناس لله، ولا يعالج أمور الحياة وقضاياها المشتركة وفق ما تهوى نفسه، بل سيتخذ موقفه العملي نحوها آخذاً بحكمة الله العادلة بعين الاعتبار، ولن يوجد أي تناقض بين قوله وفعله، ولا يبقى ماله ملكاً له، إنما يصير وقفاً لله جل شأنه ولن يزال مستقيماً صامداً؛ لا ينحرف ولا يتزحزح، في وجه الشدائد والصعوبات؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لن يجد أحداً - غير الله - يلجأ إليه، فيما لو

تخلى عن الله وهرب منه؛ إذ لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، وسوف يذوب قلبه في أعماق صدره من ذكر الله عز وجل، فيدعوه ويبتهل إليه تعالى باندفاع وحرقة بالغتين، وستصبح وحداته وخلواته عامرة بصحبة الله ومناجاته، وينظر إلى وجوده فيرى أن ملء إهابه الخطأ والخطيئة والعيب، بالمقارنة إلى عظمة الله القدوس وكماله، إذن فلن يسعه عند ذلك سوى أن يتضرع إلى الله قائلاً: (يا إلهي! اغفر لي ذنوبي - بفضلك ورحمتك)).

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٢﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِنْدَ حَقِّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٠٥﴾

قَائِمًا بِالْقِسْطِ : مقياً للعدل في كل أمر.

الدِّينَ : الطاعة والانقياد لله ، أو الملة .

الإِسْلَامُ : الإقرار بالتوحيد مع التصديق والعمل بشريعته تعالى .

بَغْيًا : حسدا وطلبا للرياسة .

أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ : أخلصت نفسي وعبادتي لله .

وَالْأُمِّيِّينَ : مشركي العرب .

حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ : بطلت أعمالهم وخلت عن ثمراتها .

إله الكون إله واحد لا غير ، وهو يجب العدل والقسط ، وقد جاءت كل الكتب السماوية - في صورها الأصلية السليمة من تحريف البشر - معلنةً مؤكدةً هذا الأمر، وهذا الكون المترامي الأطراف، الذي يسيّره مالكة ويدير شئونته، ما زال ولا يزال على ما ينبغي أن يكون عليه من جميع النواحي ، إن هذا الكون طبقاً لمعطيات العلم الإنساني المقطوع بصحتها، نظام وحدويّ أو وحدانيّ إلى أقصى حد، مما يدل على أن مدبر الكون واحد لا غير ، ووضع كل جزء من أجزاء الكون في موضعه المناسب له، يُثبت أن خالقه إله محب للعدل والنصفة، وليس محباً للظلم والفوضى .

كل جزء من أجزاء الكون ((مسلم)) على وجه أكمل ما يكون؛ يعني أنه يتحرك ويؤدي وظيفته وفقاً لإرادة الله، وهذا الموقف العملي بعينه مطلوب من الإنسان كذلك يجب على الإنسان أن يعرف الله ربه، ويصوغ حياته طبقاً للمنهج الذي قرره الله سبحانه وتعالى والقرآن يدعو إلى هذا الإسلام الصادق، وليس السبب في إنكار المنكرين لهذه الدعوة القرآنية، أنهم لم يقتنعوا بعدُ بكونها دعوةً حقةً إنما السبب في ذلك يرجع إلى العناد، حيث إن الإيمان بها يبدو لهؤلاء مرادفاً للاعتراف بتفوق داعي القرآن الفكري، في حين أن مشاعر الحسد والكبرياء المستكنة في طوايا نفوسهم، لا تسمح لهم بهذا النوع من الاعتراف، ولذا فبدلاً من أن يتقدموا للإيمان بالحق، يحاولون أن يخنقوا الخناجر التي يرتفع منها صوت الحق غير أن ذلك مستحيل في دنيا الله ؛ إذ إن كل ما يبيتونه للقضاء على شخصية الداعي إلى الحق. أو إخماد صوته، سيء بالإخفاق والفسل لا محالة ، وعندما تُوضع موازين عدل الله فسوف يرون بأعينهم مدى تفاهة أعمالهم وعدم جدواها، كانوا متأكدين من نجاتهم وسعادتهم على أساسٍ منها .

إن الدليل الصادق آية الله جل شأنه، وإن الشخص الذي لا يخضع للدليل، فكأنها يمتنع عن الخضوع لله، وسوف يُبعث أمثال هؤلاء الناس يوم القيامة، بحيث لا يكون لهم هنالك من ناصرٍ ولا معين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾ ﴿

وَعَرَّهْمُ: خدعهم وأطمعهم في غير مطمع .

يَفْتَرُونَ: يكذبون على الله .

تُوَلِّجُ: تدخل .

بِغَيْرِ حِسَابٍ: بلا نهاية لما تعطي أو بتوسعة .

ما زال الهدى الإلهي هدياً واحداً؛ وإن اختلفت صورته على السنة الأنبياء وفي الكتب المنزلة..، ومن أجل هذا التشابه أو المماثلة، لم يُعَدَّ من الصعب على العارفين بالكتب السماوية والمؤمنين بها، أن يتبينوا مبلغ الدعوة القرآنية من الصدق والصحة، وإن كان هنالك من فارق مميز لدعوة القرآن من التعاليم السماوية السابقة، فإنها ينحصر ذلك في أن الدعوة القرآنية تتناول الدين الإلهي بتطهيره من كل الشوائب والتحريفات البشرية، فما السبب إذاً في وقوف الكثيرين من الناس من الدعوة القرآنية موقف الجحود والإنكار؟! إن السبب وراء ذلك راجع إلى أنهم لا يأخذون دعوة القرآن بما أخذ جدي؛ لأنها ليست في نظرهم شيئاً ذا بالٍ يستحق الاهتمام، كما أنهم لا يعدون إنكارهم لها مما يُعرض سعادتهم في الدنيا، أو نجاتهم في الآخرة للخطر، ذلك لظنهم القائل بأنهم في مأمن من نار جهنم؛ لا يُصَلُّونها مطلقاً، وإن مسَّتْهم لفحاتها فلمدة من الزمن يسيرة للغاية، غير أنه إذا ما أُقيمت موازين عدل الله جل جلاله، فسوف يعلمون أنهم إنما ظلوا هائمين في ظلام الأحلام اللذيذة، والأمانى العذاب، ليس غير.

كل أنواع العزة والقوة بيد الله تبارك وتعالى، ولو شاء الله لأصدر قرار العزة والرفعة في

حق من يُعدّ تافهاً غير ذي شأن بين العظماء والمعاصرين له ، وهكذا لو شاء الله لفجّر ينابيع العلم والمعرفة بواسطة من أفتى من المتريعين على مقاعد العلم والمشيخة بجهله، وإن أولى الناس بالعزة والقوة عند الله هو الذي كان يعدهما ملكاً خالصاً لله وحده، وأبعد الناس عن الاستحقاق لهما عند الله هو من يظن أنها ملك يمينه.

ومن روائع القدرة الإلهية المطلقة العظيمة، ما نشاهده كل يوم ، حيث يغطى - سبحانه وتعالى - النور بأردية من الظلام، ثم يجعل النور يخترق أردية الظلام الكثيفة السوداء الملقاة عليه ، كما أنه تعالى يخلق الحياة من عناصر ميتة ويجول الأشياء الحية إلى عناصر ميتة، إذ أفتى الذي يدعو إلى الدهشة أو الاستغراب، فيما لو عملت قدرة الله المطلقة هذه عملها في التاريخ الإنساني، كما هي تعمل على نطاق واسع جداً، في هذا الكون الفسيح المترامي إلى ما لا نهاية ؟ إن الذين يستغلون عنوان الحق لإحراز منافع دنيوية بطرق باطلة، دائماً ما يُصبحون معارضين معاندين للدعوة الصادقة إلى الحق الخالص النقي ، وإن القائم بمثل هذه الدعوة، يلقي بأيدي أولئك المتاجرين بالحق، من شديد العذاب، وألوان الأذى الحسي والمعنوي ما لا يُوصف، إنه يُخرج من داره، ويُنفى من وطنه، وتُحطّم إمكانياته الاقتصادية تحطياً... إلخ ، غير أن داعياً كهذا يكون في حماية الله وتحت رعايته المباشرة ؛ لأنه تعالى يهيئ له أسباباً للرزق غير اعتيادية ، فإذا كان الآخرون يُعطون من الرزق بمقدار سعيهم واجتهادهم في طلبه، فإن شخصاً كهذا يُرزق من عنده سبحانه وتعالى بغير حساب.

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٤٨) قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرُّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٠﴾

أَوْلِيَاءَ: بطانة أو ذاء وأعوانا وأنصارا .

تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً: تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه .

وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ: يخوفكم الله غضبه وعقابه .

مُحْضَرًا: مشاهدا لها في صحف الأعمال .

المؤمن هو الذي يُعامل بني البشر أجمع معاملةً واحدةً، وهي المعاملة القائمة على مبدأ العدل والمعروف، دون أن يفرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم، بيد أن صداقة غير المسلمين وولاءهم، سيصبح محرماً على المسلم، في حالة ما إذا كان ذلك على حساب الصالح العام للأمة المسلمة .

وأما لو اضطر أحد المسلمين، أو أحد الأحزاب الإسلامية، إلى إقامة علاقات وقتية بغير المسلمين، كتدبير وقائي لا بد منه، للدفاع عن النفس أو المال أو غيرهما، فذلك مما لا بأس به، فإن الله ينظر إلى النية، فإذا كانت النية صالحةً، فلا أحد يُؤاخذ على ما يباشره من عملٍ من هذا القبيل .

إن الله لا يخفى عليه شيء مما يصدر عن الإنسان من قولٍ أو فعلٍ سواء أكان يأتيه سرّاً أم علانيةً، وإنه حين يُرفع ستار الامتحان والابتلاء، ويتجلى بالتالي عالم الآخرة، فسيرى المرء عندئذٍ حصائد أعماله كلها بعيني رأسه، ويكون هذا المشهد هائلاً ومروراً لدرجة أنه يودّ لو أن جميع الأشياء التي كانت مُتعة نفسه في الحياة الدنيا، صارت بعيدةً عنه غاية البعد! وهيهات!! المواطن الذي يريد الله جل شأنه أن يتحقق فيه إسلام أحد الناس، هو ((القلب))، وإنما المؤمن هو الذي تكون صلته بالله قد بلغت مبلغ المحبة القلبية، وأمثال هؤلاء المحبين لله، هم الذين يستحقون أن يتفضل الله عليهم بحبه إياهم، وتوجيه عناياته الخاصة نحوهم .

كما أن الشخص الذي يقيم صلته بالله على هذا النحو، يقابله الله تبارك تعالی بالعفو عن كل ما قد يقع فيه من خطأ أو تقصير، إن الله جل جلاله أشد ما يكون أخذاً وعقاباً بالنسبة للطغاة والمستكبرين، غير أن الذين يسلكون مسلك التواضع والاستكانة، فإن الله بأمثال

هؤلاء أرفأ وأرحم ما يكون .

إن محبة الله التي ليس من شأنها أن تدفع صاحبها إلى قطع علاقته القلبية بأعداء الله، أو لا تبعثه على الطاعة والامتنال لأوامر الله، إنما هي محبة كاذبة، وسوف يُدرج مثل هذا الشخص عند الله في عداد المنكرين، وليس في عداد المؤمنين .

الرسول هو الإنسان الذي قد شهد الله بأنه على درجةٍ أكمل وأعلى ما يكون من العبودية الخالصة لله، ومن ثم فإن الله سبحانه قد جعل الرسول الأسوة الحسنة المعتبر بها عند المسلمين لممارسة حياة العبودية الإلهية في هذه الدنيا.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِكَاحٍ وَكَفَلْتُهَا بِمَا وَضَعْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٢٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا نِي لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۗ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۗ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمًا ۗ وَادَّكُرَّ بِكَ كَثِيرًا وَسَبَّحَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿١٣١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَنِكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَنِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ يَمْرِيْمُ أَقْنِي
 لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ
 إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ
 لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴿١٧﴾

وَأَلْ عِمْرَانَ: عيسى وأمه مريم بنت عمران.

مُحَرَّرًا: عتيقا مفرغا لعبادتك وخدمة بيت المقدس.

أَعِيدُهَا بِكَ: أجزرها بحفظك وأحصنها بك.

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا: جعله كافلا لها وضامنا لصالحها.

الْمِحْرَابَ: غرفة عبادتها في بيت المقدس.

أَنْتَى لَكَ هَذَا: كيف أو من أين لك هذا.

بِغَيْرِ حِسَابٍ: بلا نهاية لما يعطي.

بِكَلِمَةٍ: بعيسى - خُلِقَ بِكُنْ بِلَا أَب.

وَحَصُورًا: لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن تعففا وزهدا.

أَنْتَى يَكُونُ: كيف أو من أين يكون؟

آيَةٌ: علامة على حمل زوجتي.

أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ: أن تعجز عن تكليمهم بغير آفة.

إِلَّا رَمَزًا: إلا إيهاء وإشارة.

وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ: صل من الزوال إلى الغروب.

وَالْإِبْكَارِ: من طلوع الفجر إلى الضحى.

أَقْنِي: أخلصي العبادة وأديمي الطاعة.

يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ: يطرحون سهامهم للاقتراع بها .

لقد وهب الله سيدنا زكريا عليه السلام الولد في سن شيخوخته، وأوصل رزقه إلى مريم عليها السلام في حجرتها التي انزوت فيها تتعبد لله ، وخلق سيدنا عيسى المسيح عليه السلام بدون أب، كما خلق في عشيرة إبراهيم عليه السلام وذوي قريبه جماعة من الصالحين، هذا، ولم يكن إنعام الله على عباده هؤلاء بهذه الهبات والمنن الجليلة على نحو عشوائيّ أو اعتباطيّ، بل إنما أنعم عليهم بذلك كله، نظراً لمؤهلات وخصائص علياً؛ جعلتهم مستحقين لهذا الإنعام الإلهي بجدارية؛ لأنهم لم يعلقوا آمالاً وتوقعات عريضة على أولادهم من الناحية الدنيوية ، بل كانت سعادتهم في أن يوجه أولادهم أقصى طاقاتهم في سبيل الله وحده ، وغاية مناهم أن تبقى ذريتهم مصونة من شر الشيطان الرجيم ، وأن تُضمّ بالتالي إلى زمرة الأتقياء والصالحين من عباد الله .

إنهم لم يقفوا فريسة الحقد والحسد، فيما إذا رأوا أحداً من الناس يتمتع بأي نوع من الفضل والامتياز اختصه الله به دون من عداه ، نتيجة لصفاء نفسه، ونقاء عواطفه، كانت ذريتهم طيبة نقيّة؛ تمتلك قدرة فائقة على ضبط النفس وكبح جماحها في مواجهة شدائد الحياة الدنيا ومغرياتها ، وتذكر الله ذكراً كثيراً، وتختار طريق الخير والرشد، وهؤلاء هم الذين يُطعمهم الله ويسقيهم من خزائن رزقه الخاصة، ويتقبلهم بقبول حسن، فيهب لهم من لُدنه رحمةً ونعمةً .

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٨﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٩﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ^١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ^٢ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
 عَلَيْكُمْ^٣ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^٤ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
 وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾

بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ: بقول (كُنْ) مبتدأ من الله .

وَجِبْهًا: ذا جاه وقدر وشرف .

فِي الْمَهْدِ: في مقره زمن رضاعه قبل أوان الكلام .

وَكَهْلًا: حال اكتمال قوته (بعد نزوله) .

قَضَى أَمْرًا: أراد شيئاً . أو حكمه وحتمه .

الكِتَابَ: الخط باليد كأحسن ما يكون .

وَالْحِكْمَةَ: الفقه والصواب قولاً وعملاً .

أَخْلَقَ لَكُمْ: أصور وأقدر لرد إنكاركم .

وَأَبْرِي الْأَكْمَةَ: أَخْلَصَ الْأَعْمَى مِنَ الْعَمَى

وَمَا تَدْخُرُونَ: ما تخبثونه للأكل فيها بعد .

كان الله قد اختار اليهود للاضطلاع بمهمة خاصة وهي: أن ينزل عليهم هدايته؛ حتى يسيروا في طريق الله المستقيم، ويرشدوا الآخرين أيضاً إلى معالمة، غير أن اليهود لم يلبثوا أن تفشى بينهم الفساد في القرون المتأخرة، وبلغوا من الانحطاط مبلغاً، لم يعودوا معه أهلاً عند الله لكي يكونوا أمناء على الهداية السماوية؛ ولذا فقد قرر الله عز وجل أن ينتزع هذه الأمانة من أيديهم، ويفوضها إلى بني إسماعيل - الفرع الثاني من آل إبراهيم - وقبل التنفيذ الفعلي لهذا القرار الحاسم، كان لا بد من إتمام الحجّة على اليهود، وقد بُعث سيدنا المسيح عليه السلام من أجل تحقيق هذا الغرض بالذات، ولم تكن ولادته - عليه السلام - من غير أب، وما قد أُجري على يديه من المعجزات، وخوارق

العادات الأخرى، إلا لكيلا يبقى أمام اليهود مجال لشك في أنه نبي مرسل من عند الله ومبلغ عنه تعالى، وليس بناطقي عن هوى نفسه، ولم يكن سيدنا المسيح ﷺ يحمل معه آيات خارقة للعادة فحسب، بل كان - مع ذلك - يتحدث إلى الناس بأسلوب قوي مؤثر وبلغ لدرجة أنه لم يكن هناك أحد من معاصريه يقدر على التحدث بمثله، وعندما تحدث ﷺ لأول مرة في هيكل أورشليم هبت كل علماء اليهود الذين استمعوا إلى كلامه إذ ذاك، وأعجبوا به أياً إعجاب (انظر: إنجيل لوقا: الإصحاح الثاني: ٤٨).

ولا أدل على مدى تأثير شخصيته المعجزة، وكلامه الرائع المدهش، من أنه، رغم كونه ولد من غير أب، لم يصادف أحد معاصريه يتجرأ على الطعن في شخصه من هذه الناحية - أي من ناحية النسب -، غير أن اليهود كانوا قد بلغوا من الطغيان والتمرد على الله متناه، وكانت قلوبهم قد قست وتنجرت لدرجة أنهم رفضوا أن يؤمنوا به، بالرغم من ظهور دلائل ساطعة وآيات واضحة على صدقه وصحة رسالته - عليه الصلاة والسلام.

ومعنى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١﴾ أنه بالرغم من كون البرهان الذي يتم عرضه عليهم، كاملاً وجلياً في حد ذاته، غير أنه لا يكون مقنعاً إلا لمن كان يتمتع بروح الاعتراف والإيمان، والذي يستطيع أن يرتفع بنفسه إلى ما فوق ضباب أفكاره القاتم، حتى يتأمل الدليل المقدم عليه بذهن صافٍ ونقي، والذي تكون فطرته سليمة حية إلى حد ألا تنقف معه قضية الحفاظ على المركز الاجتماعي أو الاعتبار الذاتي حجرة عثرة دون قبوله للحق.

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿١٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمَ لَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ الْفَاعِلَةَ وَإِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

أَحْسَنَ: علم بلا شبهة .

الْحَوَارِيُّونَ: أصدقاء عيسى وخواصه وأنصاره.

وَمَكَّرُوا: أي الكفار فدبروا اغتياله .

وَمَكَّرَ اللَّهُ: دبر تدبيراً محكماً أبطل مكرهم .

مُتَوَفِّيكَ: آخذك وافي بروحك وبدنك .

لقد رفض كبار بني إسرائيل وسادتهم أن يعترفوا برسالة سيدنا المسيح عليه السلام، وبما أن كبار
العصر أمثالهم يمتلكون عادة كل أنواع الوسائل والإمكانات المادية، كما أنهم يكونون ممثلين
للدين عند عامة الناس، نظراً لاحتلالهم المناصب الدينية المتوارثة، فإن رفضهم لأحد لا
يجعله محروماً من أسباب المعيشة فحسب، بل يجعله كذلك ساقط الاعتبار من الناحية الدينية
عند الناس، بالرغم من تضحيته في سبيل الحق بكل ما يملك من رخيصٍ وغالٍ، إن الوقوف
مع الداعي إلى الحق ومناصرته في مثل هذا الموضع أمر غاية في الصعوبة؛ لأنه يعني الشهادة
على صدقه في وجه أعاصير من الشكوك والمعارضات، والوقوف إلى جانب الحق في وقت قد
يبقى الحق فيه وحيداً مخذولاً، وعندما يظهر الحق في صورته النقية الخالصة من كل شوبٍ،
فإن وطأته تبلغ من الشدة أقصاها على جميع أولئك الذين كانوا من ذي قبل، قد حصلوا على
سمعةٍ ومكانةٍ عند الناس، من خلال إلصاق رقعة الحق على حياتهم الزائفة المناقضة للحق،
وإذا بهم يقومون ويقعدون للليل من الداعي وتشويه سمعته، ويثيرون بالتالي عاصفةً هو
جاء من الشكوك والشبهات حوله، لاستفزاز الجماهير وتحريك مشاعرهم ضده، ثم هم
يدبرون آخر الأمر خطةً جائرة للقضاء عليه باستخدام وسائل العنف والقوة، غير أن نصر

الله جل شأنه يكون دائماً مع الداعي، ولذا فإن أية معارضة لا تنجح أبداً في إخماد صوته، وإن الداعي يقوم بإنجاز مسيرته، رغم كل المعاكسات ومحاولات القضاء على دعوته .

إن الذين يتخذون جبهة المعارضة بإزاء الحق إنما هم المفسدون عند الله تعالى؛ ذاك لأنهم يصدون الناس عن السير في الطريق المؤدي بهم إلى الجنة ، وإنه ليس هنالك من فساد أكبر من أن يُصد عباد الله عن التقدم نحو جنة الله .

على أن سيدنا المسيح ﷺ وُلد في الشعب اليهودي، غير أن اليهود لم يؤمنوا بنبوته، بل افتروا عليه قضيةً مزورةً، بغية الإجهاز عليه، ورفعوها إلى المحكمة الرومية بفلسطين، وقد أصدرت المحكمة الحكم بإعدامه صلباً، ولكن الله تعالى رفعه إلى السماء، وقد صلب الضباط الروميون رجلاً آخر مكانه لكونه شبيهاً به ﷺ، وبالنظر إلى جريمة اليهود الشنيعة هذه، فقد قرر الله عز وجل أن يكون الشعب المؤمن بالمسيح ﷺ غالباً على الشعب اليهودي إلى يوم القيامة، ويُلاحظ أن قرار الله هذا، إنما يتعلق بالوضع الدنيوي لكلا الشعبين : اليهودي والمسيحي، وأما وضعهما أو مصيرهما في الآخرة، فإنه له شأن آخر؛ إذ يتم تحديده وفق سنة الله العامة .

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٢﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٤﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

مَثَلُ عِيسَى: حاله وصفته العجيبة .

الْمُمْتَرِينَ: الشاكين في أنه الحق .

تَعَالَوْا: هلموا، أقبِلوا بالعزم والرأي .

نَبَّهْلُ: ندُعُ باللعنة على الكاذب منا .

يعتقد المسيحيون أن سيدنا عيسى عليه السلام ابن الله، إنهم يقولون: إن المسيح عليه السلام يختلف شأنه عن شأن البشر العاديين كل الاختلاف؛ فكانت ولادته من غير أب، خلافاً لقاعدة التوالد والتناسل العامة، إذن فكيف يصح القول بأنه إنسان عادى كغيره من بني البشر، في حين أن أسلوب ولادته يقوم بحد ذاته دليلاً على أنه كان ما وراء البشر، وأنه لذلك لم يكن ابناً لإنسان، بل كان ابناً لله.

وقد قيل لهم: إن واقع خلق الإنسان الأول - أي آدم عليه السلام - يتضمن جواباً شافياً عن سؤالكم المطروح حول ميلاد المسيح، فمما لا جدال فيه أن آدم هو أول بشر، وأنه لم يكن قد ظهر إلى الوجود من خلال اتصال كائن بين ذكرٍ وأنثى، طبقاً للعادة المألوفة الجارية، بل خلق بأمرٍ من الله على نحوٍ مباشر، فإذا لم يكن آدم ابن الله، بناءً على كونه وُلد من غير أب، إذاً فكيف سيغدو المسيح ابن الله لمجرد كونه وُلد من غير أب كذلك؟!!

في عهد نزول القرآن الكريم، كانت مدينة نجران (باليمن) مركزاً كبيراً للديانة النصرانية وفي سنة تسع من الهجرة النبوية، قدم المدينة وفد نصارى نجران؛ وقد ضم أحبارهم وزعماءهم الدينيين، لكي يتناقشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حول العقائد النصرانية، ولقد قدم صلى الله عليه وسلم أمامهم دلائل شتى، منها أنه قال: كيف يمكن أن يكون المسيح ابن الله، في حين أن الله حى لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟! وبالرغم من كونهم غير قادرين على إبطال ما عرض صلى الله عليه وسلم عليهم من الدلائل، إلا أنهم لم يبرحوا يناقشونه بلجاجةٍ وعنادٍ بالغين، ولما رأى صلى الله عليه وسلم أنهم قد بلغوا من العناد والتادي في الباطل إلى حدٍ لم ينفع معهم دليل ولا برهان، عند ذلك طالبهم آخر الأمر متحدياً، بأن استعدوا للمباهلة فيما إذا كنتم تزعمون أنكم على الحق؟!!

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج مستصحباً معه كلا سِبْطَيْهِ: الحسن والحسين، وفاطمة - ابنته - تمشي عند ظهره، ومن ورائها علي - رضى الله عنهم -، وما إن رأى نصارى نجران هذا المنظر حتى دُعِروا دُعراً شديداً، وطلبوا إليه أن يُمهلهم حتى ينظروا في أمرهم، ويتشاوروا فيما بينهم، وعندما خلا بعضهم إلى بعضٍ للاستشارة، فإذا بأحد أحبارهم يتوجه إليهم قائلاً: لقد علمتم ما وعد الله إبراهيم، في ذرية إسماعيل من النبوة، فغير مُستبعد أن يكون هذا الرجل هو ذاك النبي، ثم إنه ما لآعن قوم نبياً قط، فبقي كبيرهم، أو نبت صغيرهم، وإنه

لإستئصال منكم إن فعلتم ، فإني والله لأرى وجوهاً لو أنهم دعوا الله ، لأزاح لهم الجبال الرواسي عن أماكنها ، ولذا فالأجدد بنا أن نصالح هذا الرجل ، ونصرف عائدين إلى منازلنا .

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَتَأَنْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَنَجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِفَايْتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٦٧﴾ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: كلام عدل أو لا تختلف فيه الشرائع .

كَانَ حَنِيفًا: مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق .

مُسْلِمًا: موحدًا ، أو منقادًا لله مطيعًا .

وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ: ناصرهم ومجازيهم بالحسنى .

تَلْبُسُونَ: تخلطون أو تسترون .

ليس التوحيد جوهر تعاليم الأنبياء هو حقيقة ، بل هو حقيقة ثابتة ، حتى في نسخ التوراة

والإنجيل المتداولة اليوم، برغم أنها محرّفة وغير موثوق بصحتها، فلو قيس الأمر بهذا الميزان المتفق عليه بين الجميع؛ لثبت أن الإسلام هو وحده الدين الحق على الوجه الأكمل، وليس الديانتين: اليهودية والنصرانية.

ومعنى التوحيد هو الإقرار بوحداية الله، وإفراده تعالى بالعبادة، دون أن يُشرك بعبادته أحد سواه، وألّا يُرفع إنسان - أي إنسان - إلى مقام الألوهية الذي لا يليق إلا بالملك الكون العظيم، إن هذا التوحيد محفوظ بصورته الخالصة النقية في القرآن والإسلام وحدثهما، وأما أتباع الأديان الأخرى، فإنهم مع إقرارهم النظري بعقيدة التوحيد؛ كانوا قد اختاروا عملياً كل ما هو مناقض تمام المناقضة لحقيقة التوحيد؛ فبالرغم من الشهادة اللسانية بكون الله رب العالمين، فإنهم لم يلبثوا أن اتخذوا أنبياءهم وكبراءهم أرباباً من دون الله تبارك وتعالى.

كان مشركو مكة يزعمون أنهم على الديانة الإبراهيمية؛ كما كان اليهود والنصارى هم الآخرون يربطون تاريخهم الديني بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وهكذا جرت عادة الناس على امتداد العصور، بأن يستغلوا أسماء أنبيائهم وصلحاتهم لترويج ما أحدثوا في دين الله من بدع، وما أدخلوا فيه من أباطيل وتحريفات، وبعد رديح من الزمن ترى الجهلة والعوام من الناس، وقد استحوذت على أذهانهم هذه الديانة المصطنعة لدرجة أنهم يعدونها هي الدين الأصيل، وفي مثل هذه الظروف والملابسات، عندما تقوم دعوة الدين الحق والخالص من كل شوب، يُحْمَل إلى معارضة أن أقصر طريق لإسقاط اعتباره عند العوام، وصرّ فهم عن اتباعه، هو أن يدعوا أنه مناقض لدين السلف، فإذا بالشخص الذي يكون ممثلاً حقيقياً لدين ((السلف)) يُقابل بالرفض والإنكار باسم السلف أيضاً.

وهذا تلبس الحق بالباطل، وهو يعني أن يُنشر من الأباطيل والأفكار الزائفة، ما لا يستند إلى أي أساس في حقيقة الأمر، غير أن عامة الناس لا يلبثون بدورهم أن يحسبوا صحيحة، لضعف مداركهم وعدم تمكنهم من التمحيص والتحليل، وبالتالي تكون الفجوة بينهم وبين الحق الأصيل قد اتسعت إلى أقصى الحدود.

((المسلم الحنيف)) هو الذي يسلك طريق التوحيد بصدق وإخلاص، والمسلم غير الحنيف هو الذي ينحرف عن ذلك مما يؤدي بالناس آخر الأمر إلى أن يُقبلوا على جوانب هامشية من الدين على أنها هي الدين كله، وأن ينطلقوا في السبيل المعوجة هنا وهناك،

منصرفين عن جادة التوحيد المستقيمة .

﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ
دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنَ أَهْلِ
الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا
يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

عَلَيْهِ قَائِمًا: ملازما له تطالبه وتقاضيه.

في الأُمِّيَّة: فيما أصبنا من أموال العرب.

سَبِيلٌ: عتاب وذم أو إثم وحر ج .

إن طائفةٌ وُلد فيها الأنبياء والصالحون، وبقي الدين يُذكر بينها، ويدور على السنة أفرادها
لزمين طويل، طالما تقع في سوء فهمٍ قائلٍ بأنها هي والحق سيان، وتكون نظرتها إلى الهداية على أنها
شيء طائفي وليس بشيء مبدئي، وهكذا كان أمر اليهود، فقد استقر في أذهانهم؛ نتيجة لتقاليد
تاريخية عريقة، أن من ينتمي إلى طائفتهم على الهدى، وأما الخارج عن طائفتهم فإنه لا يمت إلى
الهدى بصلة .

والذين يعدون الحق أمراً طائفيًا على هذا النحو، لا يستعدون لقبول الصدق الذي يظهر
في غير طائفتهم، إنهم ينسون - أو يتناسون - أن الحق هو ما يأتي من عند الله تعالى، وليس ما
يُتوارث عن شخصٍ أو طائفةٍ، ومع أنهم يهتفون باسم الدين الإلهي، غير أن دينهم عبارة عن

الولاء الطائفي دون العبودية لله ، وإن نزعتهم هذه تُلقَى على أعينهم أغشية سوداء قائمة ، تمنعهم عن النظر إلى فضل أحدٍ ينتمي إلى غير طائفتهم ، فلا يزالون يشكون فيه رغم ظهور دلائل قاطعة على صدقه، ولا يلبثون أن يعارضوا دعوة الحق، القائمة في وسطٍ غير وسطهم الطائفي، معارضةً أعنف ما يكون، ويحاولون الإجهاز عليها باتخاذ موقفٍ مزدوجٍ نحوها، كما يحاولون تشكيك الناس في صحتها عن طريق نشر الأباطيل والشبهات حولها، وعلى خلاف ما تدعو إليه الشريعة الإلهية، فقد يستحلون لأنفسهم أن يتخذوا مقياسين متباينين للسلوك : يقيسون بأحدهما الآخرين، وبالأخر أفراد طائفتهم ، إن اصطفاء أحد من الناس لتمثيل دين الله رحمة إلهية خاصة ، لا تُمنح بناءً على أساس الانتماء إلى طائفةٍ دون طائفةٍ، إنما يختص الله برحمته من أحب من عباده، طبقاً لعلمه الشامل المحيط، وإنما يجب الله تعالى عبداً يكون قد ربط نفسه بالله لدرجة أن يصير الله رقيباً عليه، يحذره غاية الحذر، ويصير ماله ومولاه، فلا يمكنه أن يتخلى عن الوفاء بعهد طاعته له .

إن عباد الله المحبِّين إليه هم المؤدِّون للأمانات، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، وعلى أمثال هؤلاء الناس تنزل رحمة الله وبركاته ، وعلى العكس من ذلك فإن الذين لم يعدوا يهتمون بأداء الأمانة الملقاة في أعناقهم حق الاهتمام، وفقدوا حساسيتهم بالنسبة للوفاء بالعهود، فليس لوجودهم أية قيمة عند الله تعالى، وأمثال هؤلاء يُعدون عن رحمة الله ونصرته .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨٨﴾

لَا خَلْقَ لَهُمْ: لا نصيب من الخير أو لا قدر لهم .

وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: لا يحسن إليهم ولا يرحمهم .

وَلَا يُزَكِّيهِمْ: لا يطهرهم أو لا يثني عليهم .

يَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُمْ: يميلونها عن الصحيح إلى المحرف

وَالْحُكْمَ: الحكمة أو الفهم والعلم .

كُونُوا رَبَّائِيِّنَ: علماء معلمين فقهاء في الدين .

تَدْرُسُونَ: تقرأون الكتاب .

إن أحد الناس إذ يؤمن بالله، فإنه يعاهد الله على أنه سيكون مطيعاً لأوامره طيلة حياته ، وسيقوم بتأدية كل ما تفرض عليه شريعة الله من واجباتٍ ومسئولياتٍ نحو العباد الذين يتعايش معهم في الدنيا ، وهذه حياة منضبطة، يمكن أن تُسمى بـ ((حياة العهد)) وللاستقامة على هذه الحياة، يحتاج المرء إلى كبح جماح النفس والحد من حريتها، ويضطر بين الفينة والأخرى إلى التضحية بالمنافع والمصالح الذاتية ، ولذا فلن يتمكن من ممارسة حياة العهد هذه بنجاح واقتدار سوى من يختارها بصرف النظر عن المكاسب والخسائر .

وأما الشخص الذي لا يلبث أن يتخلى عن العهد الإلهي إثر صدمةٍ طارئةٍ أصابته ، أو خوفاً من ضياع مكسبٍ دنيوي ، فينحاز بكلية إلى منافعه ومصالحه الذاتية، فكأنه ابتاع الدنيا بالآخرة، إذن فإن الشخص الذي يحسب الآخرة على هذه الدرجة من التفاهة، كيف يكون أهلاً لعنايات الله في اليوم الآخر .

والذين يتخذون من الآخرة وسيلةً لكسب دنياهم، لا يصبحون بالضرورة منكري الدين أو الآخرة، بل إنهم يفعلون ما يفعلون مع تمام إقرارهم بمبادئ الدين والآخرة . إذن فكيف يوائم هؤلاء بين هذين الموقفين المتناقضين إن ذلك يتحقق بالتحريف وذلك باضفاء معاني

مزعومة على التعاليم السماوية، وتأويلها على غير المراد الحقيقي منها .

ولكي يتظاهر هؤلاء بالعبودية لله والحنين إلى الآخرة - رغم كونهم غارقين في حب الدنيا ولذاتها من الرأس إلى القدم - يقومون بصياغة التعاليم الدينية وفق ما تهوى نفوسهم باستبدال كلمات الله بغيرها تارةً، وتأويل كلمات الله على ما يتناسب وأغراضهم الذاتية تارةً أخرى ، فهم يتناولون الكتاب الإلهي بالتغيير، بدلاً من أن يغيروا أنفسهم، حتى يجعلوا ما ليس في الكتاب الإلهي من صميم الكتاب الإلهي ، وليوهمووا الناس بأن حياتهم المادية الخالية من الله هي حياة ذات صبغة إلهية!! إنها جريمة أعظم وأشنع ما يكون عند الله أن يعزو المرء إلى الله شيئاً لم يقله، إن العلامة البسيطة والقطعية على كون تعليم من التعليم صادقاً حقاً أن يكون ذلك التعاليم بحيث يصل عباد الله بالله، ويزيدهم تقرباً إليه، ويستثير مشاعر الخوف والمحبة الكامنة في نفوسهم، ويوجهها إلى الله ، وعلى العكس من ذلك، فإن التعليم الذي يبعث على تأليه الشخصيات وعبادتها، أو على أية عبادة أخرى سواها، والذي يجعل من أحد غير الله مركزاً تتجه إليه عواطف الإنسان اللطيفة، فمن المحقق أنه تعليم باطل بكل معنى الكلمة.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ؕ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؕ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٢﴾ أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُدُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١٠٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ

وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾
 أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٢﴾ خَلِدِينَ فِيهَا
 لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا
 لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
 يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٣٦﴾

إِضْرِي: عهدي.

وَلَهُ أَسْلَمَ: له انقاد وخضع.

وَالْأَسْبَاطِ: أولاد يعقوب أو أحفاده.

الإِسْلَام: التوحيد أو شريعة نبينا ﷺ

يُنظَرُونَ: يؤخرون عن العذاب لحظة.

الظفر بالله هو الظفر بحقيقة أبدية، إنه مرافقة الكون كله في الاتجاه والمسير والغاية،
 والذين يظفرون بالله على هذا النحو، يتسامون بأنفسهم فوق الأحقاد والتعصبات بكل
 أنواعها، ويعرفون الحق على كل حال سواء أكان قد تم إعلانه بلسان «نبي إسرائيلي» أم
 بلسان «نبي إسماعيلي».

وأما الذين يعيشون على مستوى الطائفية، فإن الحق في نظرهم لا يكون حقاً إلا إذا ما ظهر
 بواسطة أحد أفراد طائفتهم، ولكن إذا ما أقام الله شخصاً من غير طائفتهم لإبلاغ رسالته إلى
 الناس، فإن رسالة كهذه لا تجد لها مكاناً في قلوبهم حتى لو كانوا على يقين بأنها رسالة حقّة
 وصادقة، وإن كان أمثال هؤلاء يظنون أنفسهم مؤمنين، فإنهم يسجلون عند الله ضمن الجاحدين
 ذلك لأنهم عرفوا الحق بوصفه معزواً إلى طائفتهم وليس بوصفه معزواً إلى الله عز وجل.

إن إنكار الحق ممن أيقن أنه حق أشنع جريمة عند الله تعالى ، وسوف يكون أمثال هؤلاء المجرمين في الآخرة من الذلة والهوان بحيث يلعنهم الله والملائكة ، ويلعنهم الناس أجمعون .

وربما يبدو أن عدم الاعتراف بالحق الذي يأتي من الخارج هو احتفاظ بالإيمان وصيانتته ، غير أن ذلك هو إحباط الإيمان وإضاعته ، إن عبد الله المؤمن يعيش على ما يتلقاه من فيض الله المستمر ، إذن فإن الشخص الذي يكون قد انطوى على نفسه أو انكمش في قوقعة الطائفية ، بعيداً عن الحق بمسافات قصيرة ، فبأي مدخلٍ يأتري سينفذ الفيض الإلهي إلى أعماقه ، وأي شيء سيغذي إيمانه وينميهِ من بعد حرمانه من الفيض الإلهي الغامر؟!

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَّبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾
 ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾

البر: الإحسان وكمال الخير.

إسرائيل: يعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

حنيفاً: مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق .

بئكة: مكة المكرمة .

تبعونها عوجاً: تطلبونها معوجة أو ذات اعوجاج.

لقد كانت لحوم الإبل والأرانب محرمةً على اليهود؛ لتحريم أحبارهم لها ولكن الشريعة الإسلامية بينت أنها حلالٌ طيب، مما دفع اليهود إلى إثارة تساؤلاتٍ عما إذا كان الإسلام ديناً منزلاً من عند الله، فلماذا لا يتفق مع التوراة («المحرفة»؟! وكيف يمكن أن ينزل الله ديناً يتخذ من الكعبة قبلةً مكان «بيت المقدس»، الذي لم يزل حتى الآن قبلة الأنبياء والمرسلين قاطبةً؟! إن دعوة الحق حين تقوم في صورتها الخالصة، تشتد وطأتها على الذين كانوا يروّجون بين

العوام ديناً موضوعاً مزوراً من عند أنفسهم، ثم لا يلبث هؤلاء أن يعارضوها، ويحاولوا صرف الناس عن اتباع دعوة الحق بإلقاء ألوانٍ من الشبه والشكوك في قلوبهم، إن دينهم المزعوم لم يعد على أسس الدين ومبادئه الجوهرية، وبدلاً من ذلك يظهر إلى حيز الوجود هيكل شكلي للدين؛ يتمخض عن التعمق والتنقيح في فروع الدين وجزئياته، وعندئذٍ تنقلب مقاييس القيم، فيتركز الاهتمام كله على هذا الهيكل الشكلي المفروض؛ فيعد المتمسك به غايةً في البر والصلاح، وآيةً للكمال والتقوى والورع، مهما تكن نوعية حياته الحقيقية.

فالمرء - في ظل هذا الهيكل - يُبالغ في التحاشي عن أكل لحم «الأرنب»، استناداً إلى أن أكابر أمتنا لم يكونوا يأكلونه، مع كونه قد استحلّ لنفسه مجموعةً كبيرةً من الأشياء المحرمة، كما يعتقد بوجوب الاتجاه نحو «بيت المقدس» على نحوٍ مستقيمٍ تماماً، ولكنه لا يرغب في توجيه تصرفاته اليومية نحو الله عز وجل، غير أن مقام البر والصلاح لا يمكن أن يناله أحد إلا بالتضحيات دون إقامة المظاهر السطحية الرخيصة.

وإن عبد الله الصالح هو الذي يتقدم بإهداء مشاعر حبه وإخلاصه إلى ربه، الذي لم يعد شيئاً في الوجود كله أحب إليه منه، والذي يعترف بالحق ولو كان على حساب مركزه أو مكانته الذاتية، والذي يمضي قدماً في سبيل الله، حتى لو اضطرَّ إلى بذل كل ما يملك، وتعريض مستقبل أولاده للخطر، إن الشخص الذي يتسع صدره لاحتمال كل شدةٍ ومكروهٍ من أجل الله، ويرضى بالله عوضاً عن أعلى وأحب ما لديه من مقتنياتٍ؛ ليعطيها في سبيله عن طيب خاطرٍ، هو وحده الظاهر بدرجة البر العالية ومقام العبودية الخالصة لله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٤٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٣﴾

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ: يلتجئ إليه أو يستمسك بدينه.

حَقَّ تُقَاتِهِ: حق تقواه: أي اتقاء حقا واجبا .

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ: تمسكوا بعهدته أو دينه أو كتابه .

شَفَا حُفْرَةٍ: طرف حفرة.

الدنيا مكان الابتلاء، حيث يكون المرء دائما في خطر أن يتخطف الشيطان إيمانه على حين غرة، فتقبض الملائكة روحه - عند انتهاء أجله - وقلبه خلو من الإيمان ، ولذا فلا بد للمرء من اليقظة الدائمة، والرقابة المستمرة على نفسه .

ومن صور الابتعاد عن الإيمان أن تُوضع عناصر الدين في غير مواضعها، فيتأخر الأهم ويتقدم ما دونه.

والحبل الرئيسي للدين هو التقوى، يعني الخوف من الله، والموقف من كل قضية في الحياة العملية، ينبثق عن تصور الحساب أمام الله عز وجل ، والاستقامة على هذا الدرب حتى الموت، ذلك هو الصراط المستقيم بعينه . والانحراف عن ذلك يتمثل في أن يؤخذ أي شيء آخر، بدلا من التقوى محورا للدين ومدارا، وعند ذاك ستقسم الأمة بالضرورة، وينفطر عقدها، إذ يأخذ بعض في التركيز على عنصر غير أساسي ، ويركز بعض آخر على عنصر أساسي آخر وهكذا تفرق الأمة الواحدة طرائق قديداً .

إن التركيز والتأكيد، إذ يكون منصباً على عنصر التقوى، تركز التوجيهات والاهتمامات كلها على الله الواحد الأحد، مما يؤدي إلى إيجاد الوحدة والائتلاف، وأما إذا تمركزت الاهتمامات والتوجيهات حول الأمور الفرعية من الدين وأحكامه الجزئية المختلف فيها، نتيجة التركيز الكلي عليها مكان التقوى، فذلك مما يُحدث التفرقة بين الناس ويعد شملهم، ويوصلهم إلى شفير الهاوية، إن انقسام كلمة الأمة - آية أمة كانت - عذاب لا ينتهي، فنشقى به في الدنيا وفي الآخرة معاً، لقد كانت هناك قبيلتان عربيتان بالمدينة قبل ظهور الإسلام؛ هما الأوس والخزرج، ولم تزل تندلع بينهما الحروب حتى أضعفتهم وأنهكت قواهم، وما إن دخلت هاتان القبيلتان في الإسلام حتى انتهت كل خصوماتهم وحروبهم الداخلية، وبدأوا يتعايشون في جوٍّ من الإخاء والمودة والوئام.

والسبب في ذلك يرجع إلى أن الفرد في غير الإسلام إنما يكون وقياً لنفسه، أما في ظل الإسلام فيكون وقياً لله الواحد الأحد لا غير، والمجتمع الذي يكون الأفراد فيه أوفياء لأنفسهم أو لطائفهم تعدد هناك الولاءات، وما الفرقة والتصادم سوى نتيجة عملية لازمة لتعدد الولاءات على هذا النحو، وعلى العكس من ذلك فإذا كان أفراد المجتمع أوفياء مخلصين لله الواحد الأحد، فإن أنظار الجميع وتوجهاتهم تصير منصبّة على مركز واحد، ويصبح الجميع مشدودين بحبل واحد متين، وهكذا تتلاشى تلقائياً كل دواعي التفرقة وعوامل الخصومة.

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۗ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٥﴾ ﴾

يُرشد قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ إلى أمرين اثنين في آنٍ واحدٍ: أولهما له علاقة بطبقة الخواص، والثاني يتعلق بالسواد الأعظم، فال المطلوب من خواص الأمة ألا يهدأ لهم بال، إذا رأوا أي منكرٍ يتفشى في الأمة، حتى يقتلعوا جذوره، وأن يكونوا غايةً في القلق على نشر الخير والصلاح، وإن روح الإصلاح والترشيد تحدو بهم إلى أن يكونوا على اتصالٍ دائمٍ بأحوال الناس، ولا يعيشون بمعزلٍ عما يعانونه من هموم ومشكلات، ويحشوا إخوانهم في الدين على مواصلة السير في طريق الرشد والخير، واجتنباب الفحشاء والمنكر، غير أن هذه المهمة الإصلاحية لن تُكفل بالنجاح المطلوب ما لم تتوافر روح الطاعة في عوام الأمة، وما لم يُسلموا أزيمة أمورهم كلها إلى العلماء المتخصصين في قضايا الدين، وإن الطائفة المسلمة التي يكون الخاصة والعامة فيها على هذه الدرجة من الوعي بما لهم وما عليهم هي وحدها الطائفة التي سيكتب لها التوفيق والفلاح، إذ في مناخٍ من السمع والطاعة على هذا النحو، تتولد في مجتمع ما، تلك الخصائص والصفات العليا التي تجعله مجتمعاً قوياً مرهوب الجانب في الدنيا، وأهلاً للنجاة والسعادة في الآخرة.

ومن فوائد يقظة هذه الروح في الخواص أن كل اهتماماتهم وتوجهاتهم تكون مرتكزة على الخير وعلى أسس الدين ومبادئه الجوهرية، فلا يتبقى أمامهم فسحة من الوقت للتعلمق والتتقير في الفروع والمسائل الجزئية، إن الذين يجعلون من أنفسهم شهداء لعظمة الله وجلاله، وينهضون منذرين ومبشرين للآخرة، لن يتسع لديهم الوقت - بطبيعة الحال - لكي يقوموا بإبراز براعتهم في جزئيات الأحكام الشكلية من الدين، وعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توجه كل جهودهم وطاقاتهم نحو إصلاح المشكلات الحقيقية الواقعة فعلاً.

ومن الثمار التي يجتنيها العامة عبر توطئتهم أنفسهم على تقبل نظام السمع والطاعة هذا، أنهم ينجون من شر التحزب والتكتل وانقسام الكلمة، ويصيرون وحدةً قويةً متماسكةً نتيجة اتباعهم لأمرٍ واحدٍ، وبالتالي تصبح الوحدة والاتلاف بمثابة ميزة أو صفةٍ عامةٍ لازمةٍ لهم، ولا ريب في أنه ليس هنالك قوة أقوى ولا أعظم في هذه الدنيا من الوحدة والاتلاف.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يُوَلَّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

أذى: ضررا يسيرا بالكذب أو بالتهديد .

يُوَلَّوْكُمْ الْأَدْبَارَ: ينهزموا ويخدلوا .

الذَّلِيلَةُ: الذل والصغار والهوان .

تُقِفُوا: وجدوا أو أدرخوا .

يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ: بعهد منه تعالى وهو الإسلام .

وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ: عهد من المسلمين .

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ: رجعوا به مستحقين له .

الْمَسْكَنَةُ: فقر النفس وشحها .

لقد كان اليهود مكلفين بحمل الدين الإلهي، ولكنهم لم يتمكنوا من القيام بحمله على النحو المطلوب، كما أخفقوا كل الإخفاق في الاحتفاظ بالدين وصيانته صافياً نقياً، ثم بعث الله تعالى من بعد ذلك محمداً ﷺ بدينه في صورته الصحيحة الخالصة ، والآن فقد صارت الأمة المسلمة هي المرشحة لإرشاد البشر كافة إلى الهداية الإلهية.

وهذه المهمة الخطيرة تفرض على الأمة أن تؤمن بالله إيماناً صادقاً، وتهدى العالم كله إلى الخير والمعروف، وتُخبره بما لا يرضاه الله عز وجل من منكر القول والفعل، وبما أن هذا العمل عمل إلهي، فقد جعله الله مقروناً برعايته وحمايته الدائمة ، فتكفل الله للقائمين بهذا العمل

الإلهي بأن أعداءهم ومعارضيهم لن يلحقوا بهم ضرراً ذا بال : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ .

غير أن الذين ينكثون العهد، بعدما عهد إليهم بمهمة إبلاغ الحق هذا، سيعاقبون في هذه الدنيا بحرمانهم المطلق من أسباب العزة والرفعة الذاتية ، وبسبب حرمانهم من نفحات رحمة الله وعناياته، تصير قلوبهم قاسية متحجرة لدرجة أنهم يتصدون للقضاء على أولئك الذين ينهضون لتبنيهم إلى مواطن ضعفهم وتفريطهم في تأدية الأمانة الملقاة في أعناقهم .

وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا أَنْ يَحْبِلَ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ يشير إلى سنة إلهية، خاصة بالأمة التي رشحها الله لتمثيل دينه ، إن قيام هذه الأمة بتمثيل الدين تمثيلاً صادقاً يضمن لها الغلبة والانتصار، فلا تقوم لها قائمة في الدنيا الحاضرة ، إن أمة كهذه لن تتمكن من إحراز الانتصار والغلبة الذاتية في هذه الدنيا، فيما لو رفضت يدها عن تمثيل دين الله ، وإن حصلت على أي نوع من السلطة فإما أن يكون ذلك على ذمة حكومة إلهية، وإما أن يكون تابعا لأية أمة أجنبية تولت حمايتها، وقامت بدعم كيائها القومي .

وعقوبة الذلة والمسكنة تستحقها أي أمة بلغت من العناد والطغيان ما تنكر معه الآيات الإلهية ، إن إنكار الآيات يعني إنكار الدلائل الصادقة ، والحق دوماً يظهر في صورة الدلائل ، ولذا فإن الشخص الذي يرفض الدليل الصادق، فإنما هو يرفض الذات الإلهية نفسها .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣٦﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ تُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٩﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

لَيْسُوا سَوَاءً: ليس أهل الكتاب بمستوين .

أُمَّةً قَائِمَةً: طائفة مستقيمة ثابتة على الحق.

لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ: لن تدفع عنهم أو تجزي عنهم .

فِيهَا صِرٌّ: برد شديد . أو سموم حارة .

حَرَّتْ قَوْمٌ: زرعهم .

المراد من «المسارعة في الخيرات» في هذا المقام، هو مبادرة المؤمنين من أهل الكتاب بتصديق الرسالة الخاتمة متواضعين، وفي ذلك الوقت كان دين موسى، قائماً على أرضية من العظمة التاريخية والقداسة التقليدية، لم يكن دين محمد ﷺ قد ازدان بعدُ بالعظمة التاريخية والقداسة التقليدية، وإنما كان يدعمه ويؤيده إذ ذاك قوة الدليل والبرهان وحدها، ولقد كان هذا الفارق بين دينهم الموروث، ودين نبي العصر، يشكل عقبةً كثوداً دون تلقيهم الدين الجديد بالقبول، غير أنهم وُفقوا لاجتياز هذه العقبة بنجاح، فبادروا إلى اعتناق دين نبي العصر .

حب المال والأولاد يحول بين المرء وبين سيره في طريق دين التضحية والتكليف، بيد أنه يتظاهر بإقامة الشعائر؛ ليزعم أنه قائم بدين الله، متمسك بأهدابه، ولكن كما أن العاصفة الشديدة البرودة تصيب الزرع فتهلكه، كذلك سيجعل طوفان القيامة أعمالهم الظاهرية كلها هباءً منثوراً .

لم يكن هناك سوى القليل من اليهود الذين آمنوا برسالة النبي ﷺ، ولكن يتضح من خلال إطلاق «أمة قائمة» على هؤلاء - رغم ضآلتهم العددية - أن قلة قليلة تخشى الله حق خشيته، تكون أعظم قيمة وأرجح كفة عند الله من جموعٍ غفيرة لا تخشاه .

ولا يكفي للنجاة في اليوم الآخر، أن يكون المرء هنا منضماً إلى أمة عريقة تنتمي إلى أحد الأنبياء، بل المطلوب الجوهرى هو أن يكون المرء موفياً بالعهد، والمراد من العهد هو الإيمان والإيمان عهد بين العبد وبين الله. فالمؤمن يلزم نفسه بأنه سيظل وفياً مخلصاً لله ومطيعاً له تعالى طوال حياته .

وهذا العهد يتضمن كل المسئوليات الإيمانية المتمثلة في ذكر الله في الخلوات، وعبادته أثناء الليل، وممارسة الحياة مع الاستحضار الدائم للأخرة، وحث الآخرين على السير في طريق الخير والمعروف، وبذل قصارى الجهد لتطهير المجتمع من المنكرات والآثام، والمبادرة إلى إنجاز الأعمال المحببة إلى الله، وهؤلاء الموفون بالعهد الرباني وهم وحدهم عباد الله المرضييون عنده، وإن الله عز وجل عليم بكل ما قد عملوه، فيجزل لهم الأجر والثوبة على أعمالهم، ويقدر جهدهم في سبيل نشر الخير واقتلاع جذور الشر حق قدرها في يوم الدين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٣٠﴾ هَتَأْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣١﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٣٢﴾ ﴾

بَطَانَةٌ: خواص يستبطنون أمركم .

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا: لا يقصرون في فساد دينكم.

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ: أحبوا مشقتكم الشديدة .

خَلَوْا: مضوا . أو انفرد بعضهم ببعض .

مِنَ الْغَيْظِ: أشد الغضب والحنق .

لقد آمن المسلمون بالدين الإلهي نفسه الذي تلقاه أهل الكتاب السابقون، إذ كان دين الطائفتين كلتيهما واحداً من حيث حقيقته الجوهرية، غير أن اليهود لم يلبشوا أن بلغوا من العداوة والبغضاء للمسلمين حداً كبيراً حتى إذا نزلت بالمسلمين مصيبة غمرهم الفرح

والسرور .

وكان السبب وراء هذه الأحقاد والعدوات الدينية في قلوب اليهود أنهم اتخذوا ديناً مصطنعاً من عند أنفسهم، ناسبين إياه إلى أنبياء بني إسرائيل ، وعلى أساس من ذلك احتلوا مركزاً قيادياً بين الجماهير، في رحاب الدين الإلهي تكون الاهتمامات كلها متجهة نحو الذات الإلهية، أما في ظل الديانة المصطنعة الزائفة، فينصب اهتمام الناس على صانعيها ومفسريها، وأمثال هؤلاء لا يستسيغون انتشار الدعوة إلى الدين الحق، إذ يُحِيل إليهم وكأنها تعمل على تقليص ظلهم، ودفعهم عن مراكز القيادة والعظمة .

ومما يجب على عباد الله المخلصين، في مواجهة مثل هذه المواقف، أن يأخذوا حذرهم من كل رد فعلٍ سلبي، ويلتزموا بالصبر والتقوى ، ومعنى الصبر هو الاستقامة على جادة الحق في كل حالٍ من الأحوال ، وأما التقوى فهي عبارة عن الاعتقاد الجازم بأن القوة الحاسمة هي الله عز وجل، وليس أحد سواه ، ولو تبنى المسلمون مثل هذا الموقف الإيجابي، لم يكن لأعدائهم أن ينالوا منهم شيئاً، ولكن ينبغي للمسلمين أن يكونوا واقعيين، فيميزوا عدوهم من صديقهم، حتى لا يتمكن أحد من أن يخدعهم استغلالاً لصفاء قلوبهم وطهارة نفوسهم .

وواقع انطواء قلوب المسلمين على مهادنة اليهود، وخلو قلوب اليهود من محبة المسلمين، يوضح لنا أي الفريقين على الحق وأيها على غير الحق ، إن الله كله الرحمة والعدل، وهو خالق ومالك بني البشر أجمعين، ولذا فإن الشخص الذي يظفر بالله على نحوٍ حقيقي، يفتح صدره لعباد الله أجمعهم، ويصير كل البشر في نظره عيال الله على قدم المساواة، وبالتالي فهو يجب لكل أحد ما يجب لنفسه ، ولكن الذين لم يدركوا الله على نحوٍ حقيقي، والذين لم يدمجوا إرادتهم في إرادة الله يعيشون على مستوى ذاتهم وحدها، وبضاعة حياتهم تكون منحصرة في إطار منافعهم الشخصية وتعصباتهم الطائفية .

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦٣﴾ إِذْ تَقُولُ

لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢١﴾ بَلَىٰ
 إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا
 النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٣﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ
 فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٤﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١٢٥﴾ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن
 يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٦﴾

عَدَوَاتٍ: خرجت أول النهار من المدينة.

نُبُؤِي: نُزِلَ وَتُوطِنَ.

مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ: مواطن ومواقف له يوم أحد.

أَنْ تَفْشَلَا: تَجْبِنَا وَتَضْعَفَا.

أَذَلَّةٌ: بَقْلَةُ الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ.

أَنْ يُمَدِّدْكُمْ: يَقْوِيكُمْ وَيُعِينُكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَيَأْتُوكُمْ: أَيِ الْمَشْرُوكِ.

فُورِهِمْ هَذَا: سَاعَتُهُمْ هَذِهِ بِلَا إِبْطَاءٍ.

مُسَوِّمِينَ: مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ أَوْ خَيْلَهُمْ بِعَلَامَاتٍ.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا: لِيَهْلِكَ طَائِفَةٌ.

يَكْبِتُهُمْ: يَخْزِيهِمْ وَيَغْمَهُمْ.

نزلت هذه الآيات عقب وقعة أحد، سنة ثلاث من الهجرة، وفي هذه الواقعة كان عدد الأعداء يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل، في حين خرج لمقاومتهم ألف رجل من المسلمين، وبينما

المسلمون في منتصف الطريق انخذل عبد الله بن أبي بثلثة من أصحابه، مما أثار موجة من الانهزامية والوهن في نفوس بعض الأنصار، لولا أن ذكرهم رسول الله ﷺ بأننا لم نخرج ثقة بأنفسنا، وإنما خرجنا توكلاً على الله وحده، وقد شرح الله صدور المسلمين لفهم هذه الحقيقة، فطمأنت قلوبهم، وارتفعت معنوياتهم، إن الله تبارك وتعالى لا يخذل العبد المؤمن إذا طرأ عليه طارئ من الضعف والاستكانة، بل يأخذ بيده، ويثبتته من جديد على جادة الإيمان، وقد ظهرت نصرة الله هذه على المستوى الاجتماعي في غزوة أحد؛ حيث تغلب العدو على المسلمين، اغتناماً لزلّة صدرت منهم.

ينبغي للمؤمن ألا يُصاب بالجزع والهلع من قلة العدد أو ضآلة الإمكانيات؛ إذ لو كان العدد قليلاً، فليؤكد أن الله تعالى سيكمل هذا النقص العددي بواسطة مددٍ من الملائكة، ولو كانت الوسائل غير كافية، فليثق بأن الله سيخلق من عنده أجواءً تسد مسدّ النقص في الوسائل، إن مدار النجاح والانتصار ليس على الوسائل المادية، بل على الصبر والتقوى.

وتتخذ نصرة الله للذين يخشون الله ويعتمدون عليه تعالى، صورتين اثنتين: إحداهما تتمثل في قطع طرفٍ من معارضيهم، والثانية تتمثل في كسر شوكة المعارضين وإحاق الهزيمة بهم، ومصدر الانتصار الأول هو الدعوة؛ إذ يوفق الله الأفراد من الطرف المقابل، الذين يتمتعون بشيءٍ من الحياة والحيوية، يوفقهم للاقتناع بالدين فهم يبدأون بالانضواء تحت لواء الحق، وأما في الصورة الثانية، فإن الله يزيد فيها من قوة أهل الإيمان، ويرفع من معنوياتهم، ويمددهم بمددٍ خصوصي يجعلهم يتغلبون على العدو.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَلْفًا بِأَلْفٍ أَنْ تَكُونُوا فِي سَعْيٍ مَلْهُومٍ ۖ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَقُوا الصُّلُبَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

الذُّنُوبِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ
مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ
﴿١٢٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكذِّبِينَ ﴿١٢٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

مُضَاعَفَةٌ: كثيرة وقليل الربا ككثيره.

السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ: اليسر والعذر.

وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ: الحابسين غيظهم في قلوبهم.

فَعَلُوا فَاحِشَةً: معصية كبيرة متناهية في القبح.

خَلَّتْ: مضت وانقضت.

سُنَنٌ: وقائع الأمم المكذبة.

المراباة هي الصورة المتناهية في القبح والشناعة لعبادة المال ، والشخص المصاب بعبادة المال يكون دائماً مشغول البال في البحث عما سيجعل ثروته ضعفين فصاعداً ، فيأخذ في الاندفاع وراء ثروة الدنيا ، في الوقت الذي يجدر به أن يسعى نحو جنة الآخرة ، ويزداد شوقاً ورغبةً في نيل رحمة الله ونصرته ، وإنما يريد المرء تنمية ثروته لكي ينال الخطوة والمكانة عند الناس ، ولكي يضمن لنفسه عيشاً رغيداً في الدنيا ، غير أن نجاح هذه الدنيا ومكانتها لا يتمتعان بأية قيمة حقيقية ، إذ إن الجنة لها وحدها الأهمية البالغة ، فأفراحها لا تفتنى ، ولذاتها لا تنتهي أبداً ، والعاقل هو الذي يندفع نحو الجنة .

والسعي وراء الجنة يعني أن يبذل المرء القسط الأوفى من ماله في سبيل الله ، إن الطريق إلى النجاح الدنيوي هو «تنمية المال» ، وأما الطريق إلى الفلاح الآخروي فهو «إنفاق المال» ، وإذا كان رأس المال الصنف الأول من الناس هو حب المال ، فإن رأس المال الصنف الثاني هو حب الله ورسوله ، وإذا كان الصنف الأول من الناس خائفاً من خسائر الدنيا ، فإن الصنف الثاني يخاف أشد الخوف من خسران الآخرة .

والذين يخافون الله، تغلب عليهم شيئاً فشيئاً نزعة «الإحسان»، حتى يصبح الإحسان بمثابة طبيعة ثانية لهم، يعني أنهم يحاولون دائماً أن يعملوا كل عملٍ بأسلوبٍ يجعله أحب ما يكون إلى الله وأقرب إلى مرضاته تعالى، فهم يعيشون في الدنيا حياةً منضبطةً، بدلاً من حياةٍ متحررةٍ طليقةٍ، ويجعلون من مطالب دين الله مطالب لأنفسهم بالذات، فيبدلون في سبيل تحقيقها على كل حالٍ من اليسر والعسر، والرخاء والشدة، ويعفون عمن ظلمهم أو أساء إليهم، برغم قدرتهم على الانتقام، ومع أنهم غير معصومين من الخطأ، فإن أخطاءهم تكون وقتيةً؛ فهم لا يكادون يقعون في خطأ حتى يثوبوا إلى رشدهم فوراً، ويتوجهوا إلى الله ثانياً، سائلين إياه بخشوعٍ وحرارةٍ بالعين أن يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم!!

إن التاريخ يتحدث بلسان العمل عن الهدي الرباني الذي تم تبيينه في القرآن في كلامٍ يُقرأ، غير أن الموعظة لن ينتفع بها إلا الذين يبحثون عن الموعظة .

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٦) **إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾**

وَلَا تَهِنُوا: لا تضعفوا عن قتال أعدائكم .

قَرْحٌ: جراحة يوم أحد .

قَرْحٌ مِّثْلُهُ: يوم بدر .

نُدَاوِلُهَا: نصرتها بأحوال مختلفة .

الإيمان يعني توجيه الحياة كلها لله، ولقد وعد الله الذين يؤمنون به، أن يكتب لهم الغلبة في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة، وأن يُنعم عليهم بكرامته الكبرى، وهي أن يجعل منهم «شهداء» في محكمته، على أولئك الذين كانوا قد رفضوهم في الحياة الدنيا، وبناءً على شهادتهم يحدد المصير الدائم الذي يلحق بأولئك المنكرين، غير أن هذه الدرجة الرفيعة لا تتأتى بمجرد إقرار لسانٍ، بل لا بد لذلك من أن يُثبت المرء صدقه في الصبر والجهاد.

والمؤمن ليس له بد من مواجهة ألوانٍ من الصعوبات والعراقيل من قبل الآخرين على أية حال ، ومقاومة هذه العراقيل والصعوبات هي الجهاد ، وإكراه النفس على الثبات على الحق في كل الظروف هو الصبر ، والذين يقدمون هذا النوع من الجهاد والصبر ، هم وحدهم المؤهلون ليرثوا الجنة ، وذلك يشق لهم أيضاً طريقاً إلى الغلبة والانتصار في الدنيا ؛ لأن «الجهاد» ضمان لاستمرارية عملهم على الوجه الأكمل ، وأما «الصبر» فهو كفييل بأنهم لن يندفعوا وراء العواطف المجردة ، وهاتان خلتان إذا وُفقت طائفة ما للجمع بينهما ، فإن نجاحها في دنيا الله هذه يصير مؤكداً بتوفيق الله ، تماماً كما يكون من المؤكد بإرادة الله إثارة بذرة ألقيت في تربة ملائمة .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ اٰمُرٌ حٰسِبٌ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جٰهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ اَلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَاَيْتُمُوْهُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

وَلِيُمَحِّصَ: ليصفي ويطهر من الذنوب .

وَيَمْحَقَ: يهلك ويستأصل .

إن من يريد السير في طريق الله فسوف يواجه دائماً مشكلاتٍ شتى ، وربما تجرّه هذه المشكلات بدورها إلى الحيرة ، وقد تملأ قلبه كله بحب المصلحة الذاتية وحدها ، وقد تثير في نفسه مشاعر سلبية ، وقد توحى إليه بفكرة إعداد «دين جماهيري» يحظى بالقبول والانتشار الواسعين بين الناس ، إزاء دين الله الخالص النقي ، وذلك هو الاختبار الذي يمر به المرء في الدنيا .

ومن خلال الخطوات العملية أو ردود الفعل تجاه هذه المواقف ، يتضح ما إذا كان صادقاً في إقراره أو كاذباً ، فإن كان عمله مطابقاً لدعوى إيمانه فهو صادق ، وإن كان عمله خلافاً لدعواه فهو كاذب .

الشهادة لله هي النقطة النهائية لهذه المسيرة الإيمانية الطويلة؛ إذ ينبعث أحد عباد الله بين

الناس، بوصفه داعياً إلى الحق، بحيث يكون هو نفسه ترجمة حيةً وأنموذجاً كاملاً لما يدعو إليه الآخرين، والناس يقابلونه بالإهانة والازدراء، ولكنه لا يحفل بلومة لائم، وقد تعرضه ضروب شتى من المشكلات والصعوبات، لكن هذا لن يغير من وجهته، وقد تعرض نفسه للخطر، ولكنه لا يجيد عن موقفه الدعوي قيد أنملة، ويظل صامداً في وجه كل الظروف والأزمات مهما تفاقمت، ومهما اشتدت وطأتها عليه .

إن هذا الاختبار قاسٍ للغاية، غير أن ليس هنالك بد من المرور به؛ إذ به يتم إعداد الإنسان الذي سيتخذ منه الله تعالى شهيداً على عباده، إن المرء حين يظل ثابتاً مُصراً على نشاطه الدعوي، برغم كل ما يعترض طريقه من المآزق الحرجة، يؤكد تأكيداً عملياً على مدى يقينه واقتناعه برسالته، كما يؤكد أيضاً على أن الشيء الذي ينه الناس إليه، هو أمر جدي متناهٍ في الجدية، وليس بأمر عفوي عابر لا يؤبه له .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٥١) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبِيونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ فَغَاتَنَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾

كتاباً مُؤَجَّلَاتٍ: مؤقتاً بوقت معلوم .

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ: كم من نبي - كثير من الأنبياء .

رِيبِيونَ: علماء فقهاء . أو جموع كثيرة .

فَمَا وَهَنُوا: فما عجزوا . أو فما جنبوا .

وَمَا اسْتَكْبَرُوا: ما خضعوا . أو ما ذلوا العدوهم .

أُشيع في أثناء معركة أحد أن النبي ﷺ قد قُتل، مما جعل بعض المسلمين يدب إلى قلوبهم الوهن والانهزامية ، غير أن عباد الله حقا هم الذين لا يعتمد تدبيرهم على شخصية معينة ، إنما التدين المطلوب عند الله أن يكون العبد قد ربط روحه كله وكيانه كله بالله الواحد الأحد وحده .

إن الإنسان المؤمن هو الذي يتخذ من الإسلام ديناً، بناء على صدقه المبدئي الأصيل، وليس استناداً إلى أية شخصية من الشخصيات .

والشخص الذي يُوفق لإدراك الإسلام على هذا النحو، يصير الإسلام عنده نعمة تملأ روحه كلها بمشاعر الشكر والامتنان نحوها ، ويحسب الآخرة، بدلاً من الدنيا، هي كل شيء، وتعود الحياة في نظره شيئاً زائلاً في أية لحظة .

وأمثال هؤلاء هم المسافرون في سبيل الله حقاً ، وإذا شاء الله مكن لهم في الأرض، إضافة إلى ما سوف يختصهم وحدهم به من الكرامات الكبرى والنعيم الأبدي في الآخرة. غير أن هذه الدرجة الرفيعة لن ينالها إلا الذي يجتاز كل مراحل الابتلاء والامتحان بنجاح .

ومسلسل اختبار المؤمن، لا يزال جارياً كل يوم دون انقطاع، والذين ينجحون في هذا الاختبار هم الذين يُكتب لهم كل أنواع العزة والسعادة والرفق في الدنيا والآخرة .

إن اتحاد كلمة أهل الإيمان، ووقوفهم جنباً إلى جنب في المواقف الخطيرة الحاسمة، وتواصيهم بالصبر والثبات على الحق في كل الظروف والأوضاع، مما يجعلهم مستحقين لنصرة الله الخاصة .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١٦﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١١٧﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ

وَيَسَّسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ
 حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ
 مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
 وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا
 تَلُودُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَانِكُمْ فَأَتَيْتَكُمُ غَمًّا بَغْمًا لِكَيْلًا
 تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿

الله مولاكم: الله ناصركم لا غيره.

الرُّعْبَ: الخوف والفرع.

سُلْطَانًا: حجة وبرهاناً.

مَثْوَى الظَّالِمِينَ: مأواهم ومقامهم.

إِذْ تَحُسُّونَهُمْ: تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

فَشِلْتُمْ: فرعتم وجبتهم عن عدوكم.

لِيَبْتَلِيَكُمْ: ليمتحن صبركم وثباتكم.

تُصْعَدُونَ: تذهبون في الوادي هرباً.

وَلَا تَلُودُونَ: لا تعرجون.

فَأَتَيْتَكُمُ: فجازاكم الله بما عصيتم.

غَمًّا بَغْمًا: حزناً متصلاً بحزن.

لقد كانت الهزيمة الوقتية العارضة في موقعة أحد فرصة انتهزها معارضو الإسلام، فبدأوا
 يقولون: إن أمر هذا النبي وأتباعه ليس بأمر إلهي؛ إذ لو كان ذلك أمراً إلهياً، لم يكن
 لأعدائهم أن يلحقوا بهم الهزيمة المنكرة.

غير أن الهزائم والنكسات من هذا النوع، وإن كانت في ظاهر أمرها قد وقعت نتيجة لخطأ المسلمين أنفسهم تكون على كل حال اختباراً من الله عز وجل ، فليس هنالك بد من مواجهة (وقعة أحد) في معترك الحياة الدنيا، حتى يتميز من كان يعتمد على الله وحده، ممن ينقلب على عَقْبِيَّه، وينسلخ من إيمانه ، ومثل هذه الوقائع تكون ابتلاءً ثنائياً أو مزدوجاً بالنسبة للمؤمن، فمن جانب يكون المطلوب منه ألا يتأثر بها قد يثيره المعارضون من الأراجيف والمثبّطات والشكوك حول مستقبل الإسلام ، ومن جانب آخر يجب عليه ألا يقع فريسة الفرع والهلح من المعاناة الوقتية الطارئة، وأن يبقى صامداً لا يتزحزح عن موقفه على أية حال ، ولو ظل أهل الإيمان صامدين في وجه المواقف الخطيرة والأزمات الشديدة الوطأة، فسرعان ما تنزل من عند الله «نصرة الرعب» .

إن إصابة المسلمين بالضعف والهزيمة يرجع إلى سببٍ واحدٍ لا ثاني له، ألا وهو «التنازع في الأمر»، وليس هنالك من سبيلٍ إلى الوحدة والائتلاف بين طائفةٍ ما، إلا بالتخلص من هذا السبب ، حتى وإن اختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر .

وما دام هذا السمو الفكري والانفساح الذهني سائداً في طائفةٍ ما، فإنها تظل متحدةً متهاسكةً، قويةً وغالبةً ، وأما إذا صار الاختلاف في الرأي والمذهب، أساساً لافتراق القوم طرائق قديداً، وكتلاً متفرقةً، فلا مناص إذن من أن يصيبهم الضعف المؤدي بهم حتماً إلى الهزائم والنكسات المتوالية .

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾

أَمَنَةٌ: أمان وعدم الخوف.

نُعَاسًا: سكوناً وهدوءاً أو مقاربة للنوم.

يَغْتَشَى: يلبس كالغشاء.

لَبَّرَزَ: لخرج.

مَضَاجِعِهِمْ: مصارعهم المقدرة لهم أزلاً.

وَلَيَّبَتِّلِي: ليختبر وليمتحن وهو العليم الخبير.

وَلَيُخَصِّصَ: ليخلص أو ليزيل أو ليكشف ويميز.

اسْتَرْزَمُ الشَّيْطَانُ: حملهم على الزلة بسوسته.

إن أهم شيء في معترك الحياة ألا يفقد المرء أبداً شعوره بالأمن والطمأنينة الداخلية، ويبقى دائماً مستعداً لتركيز جهوده واهتماماته كلها على إنجاز خطته المرسومة، وبلوغ غايته المنشودة، ويكون أهل الإيمان، نتيجة ثقتهم بالله وتوكلهم عليه، متمتعين بهذه الطمأنينة الداخلية على أكمل وجه، حتى في أثناء المواقف المفزعة، تلك التي يُصاب الناس فيها بالقلق والانزعاج المؤرقين؛ فلا يعرف الندم سبيلاً إلى جفونهم، يمكنهم أن يستعيدوا نشاطهم وحيويتهم من خلال الاستراحة لساعة أو لبعض الساعة.

وقد شهدت غزوة أحد مظاهرة فعلية رائعة لذلك؛ فقد تمكن فلول المؤمنين من أن يأخذوا حظهم من النوم والاستجمام، على الرغم من ألم القروح والجراح، وإرهاق التعب والعناء، وأن يخرجوا مع صباح اليوم التالي، في أعقاب العدو، ليطارده، حتى عسكروا بحمراء الأسد - التي تقع على مسافة ثمانية أميالٍ من المدينة - الأمر الذي أدخل الرعب في قلوب الأعداء، فانطلقوا عائدين إلى مكة لا يلبون على شيء، ذلك هو شأن أهل الإيمان الصادقين في إيمانهم، وأما الذين لم يتخذوا من الله ولياً ومعيناً لهم، فإنهم يرون الأخطار تحديق بهم من كل ناحية، إن أناساً فارغين عن همّ الدين أمثالهم، لا يهتمهم شيء سوى النجاة

بأنفسهم ، فيكونون دائماً قلقين مضطربين؛ لا يقر لهم قرار، ولا ينالون نصيبهم من نصره السكينة والطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده المؤمنين ، وفي غزوة أحد كان عبد الله بن أبي من أصحاب الرأي القائل بالبقاء في المدينة، وقاتل العدو فيها إذا ما دخل عليهم غير أن رسول الله ﷺ لم يلبث أن خرج من المدينة، وقاتل العدو في الشعب، نزولاً على اقتراح أكثرية المسلمين المخلصين .

ثم إذا حلت الهزيمة بالمسلمين، بسبب خطأ الرماة المرابطين على ثغر الجبل، وجد عبد الله بن أبي وأتباعه فرصة لإظهار الشماتة بهم، فراحوا يقولون: لو اتفقوا معنا على البقاء في المدينة والقتال فيها، لما حلت بهم هذه الخسارة الفادحة في الدماء والأرواح ، غير أن الموت أمر إلهي لا يتخلف؛ إذ يوافي كل أحدٍ حيث ينتهي أجله المكتوب وليس بإمكان التدابير الاحتياطية أن تدفع الموت أو تؤخره عن أحدٍ .

وإن أمثال هذه النكبات والأحداث الفاجعة، مهما يكن وراء ذلك من سببٍ في ظاهر الأمر، إنما تحدث وفق مشيئة الله العليا، لكي يتضرع عباد الله المخلصون إلى الله؛ فيزدادوا تقرباً إليه، ويستحقوا المزيد من رحماته، ولكي ينكشف النقاب عن طوية المغرضين الدخلاء الذين انضموا تحت لواء الإسلام لأحد غرضين لا ثالث لهما: مغانم يتوقعونها، أو مغارم يتوقَّعونها .

عندما رأى الرماة الخمسون أن المسلمين قد أحرزوا النصر، وأن الأعداء لا ذوا بالفرار رغب بعضهم في النزول إلى الميدان؛ ليأخذوا الغنائم والأسلاب إلا أن أميرهم - عبد الله بن جبير - وعدداً من زملائه خالفوهم قائلين : علينا أن نلزم هذا المكان ولا نبرحه على أي حالٍ من الأحوال، بحسب ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، وما هو إلا قليل حتى غادر الرماة مواقعهم ما عدا أحد عشر رامياً ، وقد اتخذ الشيطان من هذا الاختلاف والتنازع الداخلي ثغرةً لكي ينفذ منها إلى قلوب المسلمين، ويوقع الارتباك في صفوفهم، غير أنهم لما اعترفوا بخطيئتهم، عفا الله عنهم، ثم نصرهم، بأن قذف الرعب في قلوب الأعداء؛ فارتدوا على أعقابهم، في حين أنهم كانوا متجهين صوب المدينة، ولم يكن بينهم وبينها إذ ذاك سوى بضعة أميال فقط .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
 الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي
 قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي ۚ وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ
 تُحْشَرُونَ ﴿٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا
 مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ
 ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ ۝

ضَرَبُوا: سافروا لتجارة أو غيرها فماتوا .

غُرَى: غزاة مجاهدين فاستشهدوا.

فَبِمَا رَحْمَةٍ: فبرحمة عظيمة .

لِنْتَ لَهُمْ: سهلت لهم أخلاقك ولم تعنفهم .

فَظًّا: جافيا في المعاشرة قولا وفعلا .

لَانْفَضُّوا: لتفرقوا ونفروا.

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ: فلا قاهر ولا خاذل لكم .

كل حادث يقع في هذه الدنيا، مهما كان صغيراً أو كبيراً إنما يقع بإذن الله تعالى، غير أن
 هناك ستاراً من الأسباب والعلل لا يزال مسدولاً على كل الأمور والأحداث؛ بحيث يبدو في
 ظاهر الأمر أن الأحداث كلها مرتبطة بأسباب معينة، ولكنها في الحقيقة مرتبطة بمشيئة الله
 العليا، واختيار المرء يكمن في ألا يتورط في بُؤرة الأسباب الظاهرية، بل يحاول جهده النظر
 إلى القدرة الإلهية العاملة خفية من ورائها .

إن الإنسان غير المؤمن هو الذي يضل في متاهة الأسباب .. والإنسان المؤمن هو الذي يوفق لإدراك الحقيقة الأصلية العليا.

إن شخصاً يدعي الإيمان، ثم يحسب أن الحياة والموت، والنجاح والإخفاق، كل ذلك نتاج التدابير والحيل، إن شخصاً كهذا لا عبرة بدعوى إيمانه، إن الرجل الكافر إذا ما طرأ عليه طارئ صار نهياً للأسى واللوعة والحسرة وهو يقول: لو أني اتخذت كذا وكذا من التدابير لكنت بنجوة مما وقعت فيه، ولكن إن الرجل المؤمن ينظر إلى ما يُلم به من الطوارئ والنكبات نظرةً تتم عن الهدوء النفسي والطمأنينة والقناعة الداخلية، ويرجع ذلك إلى إرادة الله به، وأن الله لا يريد بعباده إلا خيراً.

والذين يعطون الأهمية البالغة للأسباب يوجهون حياتهم كلها إلى ادّخار متاع الدنيا وزخارفها، وبالتالي تصبح «الحياة الدنيا» أعز شيء عندهم، غير أن الشيء الجدير بالطلب والسعي الحثيث إنما هو الجنة ومغفرة الله ورضوانه، والجنة شيء لا يُنال إلا بعوض الحياة.

والسلوك الاجتماعي الذي طُلب الرسول بممارسته مع أصحابه المؤمنين، هو السلوك المطلوب من القائد المسلم، فلا بد للقائد المسلم أن يكون رقيق القلب ولين القول، ويجب ألا تكون هذه المعاملة الرفيعة اللينة محصورةً في نطاق الحياة اليومية العادية، بل تشمل أيضاً المواقف الصعبة، تلك التي يدور فيها الصراع الحاسم بين الإسلام والكفر والتي يتحول فيها النصر الباهر إلى هزيمة نكراء نتيجة للخروج على أوامر القائد.

ومن المستحيل أن تتألف أية جماعة قوية متماسكة، ما لم يكن قائدها متمتعاً بالسمو ورحابة الصدر وليونة الجانب على هذا المستوى، إن الخطيئة مهما كانت فادحةً أو عظيمة الخطر، جديرة بالعفو، فيما لو كانت مجرد خطيئة، ولم تكن بمشاعبة متعمدة، فينبغي للقائد أن يتعامل مع أتباعه ناسياً كل أخطائهم من هذا النوع، وأن يكون غاية في النصح للناس والحرص عليهم، حتى تبدأ تفيض من قلبه الدعوات الصالحة لهم، وأن يقدر الناس تقديراً بالغاً وأن يأخذ نفسه بالتشاور والبحث معهم في كل الأمور والقضايا.

وإذا كان المرء موقناً بأن كل ما يقع، إنما يقع بإذن الله عز وجل، فإن التدابير البشرية كلها،

ستصبح في نظره غير جديرة بالاعتبار.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مِمْسًا غَلًّا وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ ۗ وَيُنْسِ الْأَمِيرُ ﴿١١٥﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٧﴾ ﴾

أَنْ يَعْلَلَّ: يخون في الغنيمة .

بَاءَ بِسَخَطٍ: رجع متلبسا بغضب شديد .

وَيُزَكِّيهِمْ: يطهرهم من أدناس الجاهلية .

على أن رسول الله ﷺ كان قد عفا عن أولئك الرماة الأربعين الذين خالفوا أمره، بمغادرتهم نجر الجبل، قبل أن يأذن لهم بذلك غير أنهم لم يطمئناوا كل الاطمئنان إلى عفوهم ذلك فقد كانوا يظنون أن ذلك لا يعدو أن يكون عفواً ظاهرياً مؤقتاً، وأن ثمة بقية من الحزازة في قلبه ولما تحمد جذوتها، وأنه سوف يحاول أن يتشفى منهم، إذا ما أتاحت له الفرصة ، فقليل: إنه ليس من شأن الرسول أن تنطوي نفسه على غلٍ، بأن يُبطن في داخله خلاف ما يظهره .

ومن خلال هذا تتضح لنا تلك الصفات والملامح البارزة التي لا بد من توافرها فيمن يتولى قيادة المسلمين ، فالقائد المسلم ينبغي أن يكون قلبه من السلامة والنقاء بحيث لا يضمّر شيئاً من مشاعر البغض والنفرة والحقد والحسد، إذن فينبغي للقائد المسلم أن يتسع صدره للعفو والصفح ، حتى عن أولئك الذين يرتكبون أفدح الأخطاء وأشدّها خطورةً، وألا يُضمّر في قلبه أية عاطفة سلبية ضدهم؛ وليتعامل معهم اليوم كما لم يكن قد صدر منهم محظور بالأمس القريب .

ومما لا بد منه كذلك أنه إذا أولت طائفة مسلمة ما ثقتها لأحد القادة واعتمدت عليه، فألقت إليه مقاليد أمورها كلها، فلا يجوز لهذا القائد أبداً أن يضحى بأموالها وأنفس أفرادها في سبيل تحقيق آماله وطموحاته الذاتية، إن الشخص الذي يكون قد نهض لإرشاد الناس إلى مرضاة الله وحثهم على اتباعها في حياتهم العملية، كيف يستحب لنفسه أن يحضر أمام الله ولم يتبع مرضاة الله في حياته؟!

إن حياة الرسول ﷺ تمثل «القدوة والأنموذج» التي لا بد من التأسى بها لكل القادة وزعماء الإصلاح إلى يوم القيامة، ومما يستلزم العمل الإصلاحي بالضرورة ألا يبدو المصلح «غريباً» من أية ناحية، عن الذين يتوخى القيام بالإصلاح بينهم؛ بل يجب أن يبدو، من حيث لغته، وأسلوب كلامه، وطرز معيشتة، وما إلى ذلك «واحداً من أنفسهم»، كما يجب ألا يخلق بينه وبين مخاطبيه جواً داعياً إلى النفور، أو باعثاً على اتخاذ أحد الفريقين موقف المنافس للفريق الآخر.

وأول ما تهدف إليه مهمة الدعوة والإصلاح بين الناس: أن تُصقل عقولهم وتُنور بصائرهم، فيأخذوا في تلاوة الآيات الكامنة في نفوسهم، والمنبثة في أرجاء العالم الخارجي كله وتدبرها، وأن يرتفع مستواهم الفكري لكي يتمكنوا من إدراك البراهين الإلهية حق الإدراك.

والهدف الثاني هو: «التزكية»، والذي يتحقق بواسطة الصحة، وما يدور في أثنائها من الأحاديث الشفهية.

والهدف الثالث هو: «تعليم الكتاب»، يعني بيان الأحكام والتوجيهات السماوية المتعلقة بشئون الحياة الدنيا وأساليب ممارستها، والتي يُطلق عليها اسم «الشريعة» أيضاً.

وأما الهدف الرابع والأخير فهو: «تعليم الحكمة»؛ وهو يعني كشف القناع عن أسرار الدين، وإبراز الحقائق والمعاني المحجوبة فيما بين السطور.

﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ وَمَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ

اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٨﴾

أنى هذا: من أين لنا هذا الخذلان.

قُلُوبًا فَادْرَأُوا: فادفعوا .

في الصراع القائم بين الحق والباطل، يكون الانتصار النهائي حليف الحق؛ لأن الله عز وجل يقف دائماً إلى الجانب الحق وأهله، غير أن هذا العالم هو عالم الامتحان والابتلاء، حيث يتمتع الأشرار والمشاغبون بكامل الحرية للعمل والتصرف، الأمر الذي ربما يُتيح لهم فرصة للنيل من أتباع الحق وإصابتهم ببعض الأضرار والخسائر الوقتية؛ استغلالاً لمواطن من مواطن ضعفهم، كالاختلاف والتنازع الداخلي على سبيل المثال .

غير أن مثل هذه الوقائع الفاجعة تتضمن ناحية إيجابية مفيدة؛ فمن خلالها يتم تححيص جماعة المسلمين أنفسهم، فما إن تثقل وطأة الظروف ويشتد ظلام الحوادث، حتى يتميز المنافقون الكاذبون - تلقائياً - عن الصادقين المخلصين في إسلامهم، الذين لا يزالون صامدين توكلاً على الله وثقةً بنصرته، وبالإضافة إلى هذا كله فإن الخسارة الناتجة عن الخطيئة الصادرة اتفاقاً عندما تحدو بأهل الإيثار إلى تجديد عهدهم بالتزام الصبر، والإنابة الدائمة إلى الله، والتوكل على الله، فإن رحمة الله تصبح أدنى إليهم وأقرب إليهم من ذي قبل .

إنه قد يقال عن الشهداء «إنهم قد أهلكوا أنفسهم وأموالهم دون جدوى» غير أن هذا الكلام إن دل على شيء فإنما يدل على سفاهة قائله، فإن الخسارة في سبيل الله هي الفوز الأكبر بالذات؛ لأن الذين يضحون بكل ما يملكون في سبيل الله، هم أولى الناس بكرامات الله يوم القيامة، وأكثرهم استحقاقاً لنعمه وعناياته تعالى .

والسفهاء، إذ يذكرون المقتولين في سبيل الله، يذكرونهم، وكأن الموت أليف للمجاهدين في سبيل الله وحدهم دون غيرهم من الناس، إن الموت سنة إلهية عامة لا تتخلف، وإنه لآتٍ إلى كل أحدٍ في مواعده المضروب على حالٍ من الأحوال.

والذين يخوضون في مثل هذا الحديث، لا يصدرون أبداً في ذلك عن جدٍ، فإن قلوبهم تكون منطوية على اعترافٍ مكظومٍ بمدى تقصيرهم وتقاعسهم الإجرامي عن التضحية لإعلاء كلمة الحق، غير أنهم يحاولون الحفاظ على وقارهم وسمعتهم الظاهرية عن طريق الطعن بالسنتهم في شأن الذين قدموا فعلاً التضحيات البالغة في سبيل الحق، إنهم يقولون بأفواههم كلماتٍ تكون قلوبهم شاهدةً على أنها كلمات زائفة؛ لا تستند إلى أية حقيقة واقعة.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٣١)
 فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ
 أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ ۗ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ
 اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ
 إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
 الْوَكِيلُ ﴿٣٥﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ
 اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ
 وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۝

أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ: نالتهم الجراح يوم أحد.

كان المنافقون يصفون الشهادة في سبيل الله بأنها «موت ضائع»؛ لزعيمهم أن هؤلاء المسلمين إنما يلقون بأنفسهم إلى التهلكة من غير جدوى؛ مخدوعين بإغراءات رجل وتحريضاته - يعني النبي ﷺ - فقيل لهم: إن ما تحسبون الموت هو في الحقيقة الحياة بعينها، وبها أنكم لا تعرفون سوى منافع الدنيا وخسائرها العاجلة، فمن أجل ذلك يُحِيل إليكم أن

التضحية بالنفس في سبيل الفوز الأخروي يعني إضاعةً للنفس ، ولكن الذين يقدمون الفاقدين حياتهم في سبيل الله يفوزون بحياةً هنا منكم ، فهم يعيشون في الآخرة عيشةً أخفض وأرغد منكم في هذه الدنيا .

ومن حيل الشيطان وتدابيره أنه يغري بمن يجدهم من بني البشر أقرب إلى التأثر بوساوسه ونزغاته، يُغري بهم لكي يصرفوا الناس عن الدين، مصوّرين لهم ما سيواجهونه لقاء تقدمهم نحو الدين من عواقب وخيمةٍ ونتائج مخيفةٍ، ولكي يزلزلوا أقدام المؤمنين ويصرفوهم عن جبهة الدين ؛ بإلقاء الرعب والهلع في قلوبهم ، من خلال تضخيم قوة العدو والمبالغة في تصويرها ، غير أن مثل هذه المثبطات لا تضر أهل الإيمان شيئاً، بل تبعثهم على تجديد يقيّنهم وتقويته من أن الله لن يخذلهم في مواجهة الظروف الصعبة.

وحصلت معركة أحد على نحو ميلين من المدينة، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها انصرف جيش الكفار عائداً تحت قيادة أبي سفيان، حتى عسكروا بحمراء الأسد على بعد ثمانية أميالٍ من المدينة، وبعد ما استقر بهم المقام عادوا إلى التفكير فيما حدث، فأدركوا أنهم أخطأوا خطأً بالغاً إذ رجعوا من أحد هكذا، دون أن يستغلوا هذه الفرصة السانحة للقضاء النهائي على المسلمين في المدينة .

وبينما يفكرون إذ مر بهم عير من تجار عبد القيس، كانوا يريدون المدينة، فطلب إليهم أبو سفيان أن يحاولوا بعد وصولهم نشر الأراجيف والإشاعات بين المسلمين مما يشبههم ويملاً نفوسهم خوفاً .

وما إن وصل رجال العير المدينة حتى قالوا : إنا قد رأينا أهل مكة وهم يُعدون جيشاً عظيماً جداً، وقد صمموا على الهجوم ثانياً على المدينة بالذات، لكسر شوكة المسلمين واستئصال شأفتهم ، غير أن ثقة المسلمين القوية بالله صارت كفيلاً بأن يبوء مكر الكفار بالإخفاق الذريع، ويتقلب بالوالب عليهم أنفسهم ؛ إذ من خلال إشاعات أولئك الدسّاسين المأجورين تمكن المسلمون من الاطلاع على نوايا عدوهم الخبيثة ، وقبل أن تزحف جنود المشركين ثانياً نحو المدينة، بادر المسلمون بتعبئة قواهم وتنظيم رجالهم على عجلٍ تحت أمر الرسول ﷺ ، وانطلقوا مسرعين صوب « حمراء الأسد »، وعندما بلغ المشركين أن جيوش

المسلمين قادمة نحوهم تستأنف القتال، فظنوا أنهم قد حصلوا على مدد عسكري فرجعوا
أدراجهم إلى مكة خائفين مذعورين .

﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا
يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا
نُمَلِّئُهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ ۗ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدَادُوا إِثْمًا ۗ وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧٨﴾ مَا
كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ فَكَا مَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ
وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

أَتَا نُمَلِّئُهُمْ: أن إمهالنا لهم مع كفرهم.

يَجْتَبِي: يصطفى ويختار.

قضية الحياة الحقيقية هي تلك التي مازالت خافية عن الأنظار، وليست التي يراها الناس
ظاهرة ماثلة أمام أعينهم، الناس يهتمون بما يُنقذهم من جحيم الدنيا، ويبدلون قصارى
جهدهم فيما يقودهم إلى نعيم الدنيا، غير أن مقتضى العقل والكياسة أن يحرص الإنسان أشد
الحرص على إنقاذ نفسه من جحيم الآخرة، ويسعى أعظم السعي للظفر بها هنالك من جنة
النعيم الخالدة .

إن قضية الإنسان الكبرى والأصلية هي قضية الآخرة، والتي أخفاها الله تعالى عن عيون
البشر لحكمة الامتحان، واتخذ لإخبار الناس بذلك أسلوباً حكيماً، وهو أن يختار بعضاً
من عباده لحمل رسالة الغيب، يُطلعهم على حقائق ما وراء الموت، ثم يكلفهم بإعلام
الآخرين بها .

الإيمان هو ألا يُعجب المرء بنفسه، فإن المُعجب بنفسه يرفع ذاته إلى مقام العظمة والكبرياء

بدلاً من الذات الإلهية، وألاً ينغمس المرء في لذائذ الدنيا، فإن الانغماس في لذائذ الدنيا يدل على أنه لا يُركّز اهتمامه على الآخرة ولا يُعطيها الأهمية البالغة، وأن يكون بنجوة من الكبر والغرور، والشح والبخل، والظلم والعدوان، بعيداً عن الحب لغير الله والاعتقاد فيه، وبدلاً من ذلك كله يتخذ من العبودية لله، والتواضع والسماحة والجود، والتزام مبدأ العدل والنصفية على كل حال، شعاراً عملياً له في الحياة، بذلك يبرهن على جديته وإخلاصه وانصرافه نحو الله والآخرة، وعدم أخذه نفسه بذلك يوحى بأنه ليس بجادٍ ولا مخلصٍ في دعوى إيمانه.

إن التمييز النوعي الذي سيتم في الآخرة بين الطيب من الأرواح والخبث منها، إنها يكون للحقيقة والجوهر، وليس للشكل الخارجي أو الطلاء الظاهري.

و«الإمهال» الذي أُعطي للأشرار والمنحرفين من الناس في الدنيا، الغرض منه تمكين هؤلاء من إظهار ما في نفوسهم من شرٍ إلى أقصى حد، غير أنهم مهما قاموا وقعدوا ومهما ركبوا الصعب والذلول، لن يفلحوا في إحراز الغلبة والانتصار على أتباع الحق وإلحاق الهزيمة بهم، إنها يستطيعون أن يستخدموا حريتهم ضد أنفسهم وحدها، وليس ضد أحدٍ سواهم.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٣١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ

وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَفَدَّ فَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٤٤﴾

سَيُطَوَّقُونَ: سيجعل طوقاً في أعناقهم .

عَهْدَ الْيَنَّا: أمرنا وأوصانا في التوراة .

بِقُرْبَانٍ: ما يتقرب به من البر إليه تعالى .

وَالزُّبُرِ: كتب المواعظ والزواجر .

زُخْرِحَ عَنِ النَّارِ: بعد ونحي عنها .

الغُرُورِ: الخداع أو الباطل الفاني .

على أن المرء يدخل في عداد المؤمنين بمجرد النطق بكلمة واحدة في ظاهر الأمر، غير أنه لا يكون عند الله مؤمناً إلا إذا ضحى بهاله ونفسه في سبيل الله، إذ لا عبرة بإيمان أحد عند الله بغير التضحية بالنفس والمال، وإنما يضمن المرء بهاله ويكنزه ظناً منه أنه يحاول بذلك تأمين مستقبله الدنيوي والاحتفاظ به، ولكن مستقبل الإنسان الحقيقي هو الذي سيواجهه في الآخرة، وفي عالم الآخرة، لن يعود مثل هذا المال المكتنز المضمون به إلا بالوبال على صاحبه، فالمال الذي يبدو في هذه الدنيا وسيلةً للزينة والتفاخر والمباهاة، سوف يتحول بأمر الله إلى ثعبانٍ عظيمٍ في الآخرة .

والذين لا يعترفون «دين التضحية والتكاليف» طالما يلجأون إلى ألوانٍ شتى من الأقاويل لكي يثبتوا أن موقفهم صحيح؛ فقد يقولون مثلاً: إن الله إنما خلق هذا المال لتغطية حاجاتنا نحن البشر، فلم لا نبذله فيما نحتاج إليه ونتذرع به للحصول على أسباب الراحة ووسائل الترفيه في هذه الدنيا؟! وقد تصل بهم قسوة قلوبهم وبلادة إحساسهم إلى إثارة أنواع من الشبهات والشكوك حول شخصية الداعي إلى الحق بالذات؛ حتى يتمكنوا من البرهنة على أن ذلك الشخص الذي يفرض انبعاثه أن نقف إلى جانبه ونناصر رسالته، مُضْحِحِينَ بحياتنا وأموالنا، لا يمكن أبداً أن يكون داعياً صادقاً حقاً.

ومع أن هذه الأقاويل المموهة التي يخوض فيها أمثال هؤلاء الناس تبدو في ظاهرها

وكانها دلائل وبراهين، فإنها ليست في الحقيقة سوى أساليب للفرار من تبعات الإيمان ومقتضياته ، ولذا فهمها عُرِضت عليهم الدعوة مدعمة بالأدلة القاطعة لن يُعوزهم بعض الألفاظ والعبارات الطنانة لرفضها والتنصل من قبولها ، إن هؤلاء أناس قد نسوا أن مصيرهم النهائي الموت ، وما إن تأتي مرحلة الموت حتى ينقلب الوضع رأساً على عقب، فإن الموت لن يلبث أن يُلغي كل الاعتبارات والشعارات الزائفة، وعندئذ سيجد المرء نفسه في ذات الوضع الذي كان فيه حقيقةً، وليس في الوضع الذي كان يتظاهر به للناس.

﴿ تَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٨١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٢﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَتُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٤﴾

لَتَبْلَوْنَ: لتمتحنن بالمحن .

فَنَبَذُوهُ: طرحوه ولم يراعوه.

بِمَفَازَةٍ: بفوز ومنجاة .

بِاطِلًا: عبثاً عارياً عن الحكمة .

في أثناء مسيرة الإيمان ، لا بد أن يُصاب المرء بالوانٍ شتى من الأذى الحسي والمعنوي من ذويه ومن غيرهم، غير أن المؤمن مطالب دائماً بالألا يقع فريسة رد الفعل، ويظل ماضياً نحو الأمام، متخذاً من كل وضعٍ يواجهه موقفاً إيجابياً.

إن المؤمن يمر بين الحين والحين بتجارب ومعاملاتٍ تبعته على أن يلبي مطالب ذاته،

متخطياً الحدود الإلهية كلها، ولكن الخشية الإلهية تكبحه، وتحكم حركته، وكذلك تتطلب مقتضيات الدين المختلفة أن يضحي المرء في سبيل الوفاء بها بنفسه وبكل ما يملكه من رخيصٍ وغالٍ .

وعندما تُمنى أية طائفة أمينة على الكتاب السماوي بالانحطاط، فلا يحدث أن تتخلى عن التحدث باسم الله ورسوله، أو أن تعلن براءتها وانقطاع علاقتها بكتاب الله، كلا، إن الدين، بالنسبة إلى طائفة كهذه، يتحول إلى تراثٍ قوميٍ تعتز به، ويمتزج بتقاليدها الشعبية كل الامتزاج، وليس بإمكان أية طائفة، من الطوائف أن تتخلى أو تنفصل عن شيءٍ توثقت بينه وبينها أسباب علاقةٍ قوميةٍ وعنصريةٍ على هذا النحو غير أن علاقتها تكون مجرد علاقةٍ شكليةٍ أو رسميةٍ وليست علاقةً حقيقيةً في واقع الأمر .

أولئك أناس يمارسون نشاطهم الديني بعنوان الدين، ويرغبون في أن يُعدوا «متدينين» برغم بعدهم عن الدين، ويجنون أن يحمداوا بما لم يفعلوا وهم يعيشون حياةً خاليةً من كل اهتمامٍ بالنجاة الأخروية، ثم هم يفتعلون - مع ذلك - عقائد خرافية، يتوهمون أنهم بها سيكونون ناجين بكل تأكيد، وهم يزعمون أنهم حَمَلَة لواء الدين الإلهي، وينشطون لتحقيق غاياتهم الدنيوية، ويطلقون على تحركاتهم وصف الآخرة، ويدورون في فلك السياسة المزعومة، ويُضفون عليها صبغة السياسة الإلهية، وهم ينهضون لإحراز مصالحهم القومية ويُعلنون أنهم نهضوا التمثيل دور «خير الأمم» .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ^ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٢٣﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٢٤﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ^ج﴾

إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

فَقِنَّا عَذَابَ النَّارِ: فاحفظنا من عذابها .

أَخْرَجْتَهُ: فضحته من عذابها .

مُنَادِيًا: الرسول أو القرآن .

ذُنُوبَنَا: الكبائر .

وَكَفَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا: أزل عنا صغائر ذنوبنا .

إن الكون بكل ما فيه إعلان «صامت»، وما إن يُزيل المرء كل الأغشية الاصطناعية المتراكمة على عينيه وأذنيه، حتى يستمع إلى صدى هذا الإعلان الصامت ويراها في كل أرجاء الوجود، وعندئذ يلوح له أنه من المستحيل أن ينعدم وجود الإنسان ويتلاشى بكل آماله الجليلة وتمنياته الجميلة في مدة تتراوح بين خمسين عاماً ومائة عام؛ في هذا الكون الذي لا تنعدم ولا تتلاشى كواكبه ونجومه حتى ألوف المليارات من السنين، وأنه لا يكون للإنسان أي مصير ينتهي إليه سوى سلسلة الهموم والأحزان في هذا العالم حيث يوجد جمال الأشجار، وروعة الأزهار، وحيث يتوافر الماء والهواء والشمس وما إلى ذلك من موجودات ذات معنى وهدف معين .

ثم إنه يرى مستحيلاً كذلك ألا ينال المرء أية ثمرة أو جزاء، على الرغم من سيره في اتجاه البر والصلاح في الحياة؛ في عالم يزخر بإمكانات هائلة لتحويل بذرة صغيرة تُلقى في الأرض إلى كونٍ بأكمله من الشجر الأخضر، وألا يُشرف نور العدل والنصفة على مر القرون في عالم يتجلى فيه نهار مشرق عقب ليلة دامسة كل يوم، وألا تظهر أية قوة تأخذ على يد هذا الإنسان الذي لا ينفك يارمى ظلماً في عالم يضم بين جنباته زلازل مروعة وكوارث مدمرة.

إن الذين يعيشون في دنيا الحقائق ويسبرون أغوارها، ويفكرون بدقة وعمق بالغين، من المتعذر عليهم أن يفهموا أو يستيقنوا ما إذا كان هذا الكون المفعم بالهدف والمعنوية يمكن أن ينتهي إلى مصيرٍ خلوٍ من أي معنى أو هدف؟! وبالتالي فهم يعرفون أن رسالة الداعي إلى

الحق إعلان بلسان النطق عن ذات الحقيقة التي يتم إعلانها وإذاعتها، بلغة صامتة، في أنحاء الكون كله ، والقضية الكبرى التي تشغل بالهم بعد ذلك هي ألا يكونوا من الخائبيين والمحرومين، في حين ينكشف فيه الحق، وتطلع فيه شمس العدالة والإنصاف ، فيندفعون نحو ربهم متضرعين إليه، ويقفون إلى جانب الداعي إلى الحق وينضوون تحت لوائه، هادمين بأيديهم كل حاجز من حواجز المنفعة والمصلحة ، راجين أن يبدى لهم ربهم منزلاً يسوده النور والضياء؛ ولا يدعهم يتيهون ويتخبطون في ظلمات حالكة.

والعاقل الكيس من عاش في ذكر الله الدائم، والذي يدرك المعنوية والهدفية العاملة وراء الخصة التكوينية للكون، وعلى العكس من ذلك فإن السفيه هو الذى يشغل قلبه وعقله بأمور أخرى غير الله، والذي يمارس حياته في هذه الدنيا وكأن ليس لديه إمام بالخطوة التكوينية لمالك الكون العظيم .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا أَكْفِرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُدْخِلُهُمْ جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٣١﴾ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٣٢﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٣٣﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّةُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزِلَّ عَنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٥﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ ۝

لَا يَغْرَنَكَ: لا يخذعك عن الحقيقة.

تَقَلُّبٌ: تصرف .

مَتَاعٌ قَلِيلٌ: بُلْعَةٌ فانية ونعمة زائلة .

وَبِئْسَ الْمِهَادُ: بئس الفراش ، والمضجع جهنم .

نَزُلًا: ضيافة وتكرمة وجزاء .

وَصَابِرُونَ: غالبوا الأعداء في الصبر .

وَرَابِطُونَ: أقيموا الحدود متأهين للجهاد .

الحياة المنضبطة المسئولة التي يعيشها أهل الإيمان تحرمهم من بعض شهوات النفس وحرابتها، وفي إعلانهم للحق يرى الكثيرون من الناس إلغاء أو نفيًا لوجودهم؛ الأمر الذي يجعلهم يناصبونهم العدا، وربما يتفاهم الوضع ويتأزم لدرجة أنهم يُخرجون من ديارهم وأوطانهم، ويُضطرون إلى النهوض لمقاومة عدوان المعارضين وتعسفهم، ولا يسعهم بعدئذ إلا أن يختاروا دين الله مضححين بالنفس والنفس، ومما يجب على أهل الإيمان ألا ينسوا مصالح الآخرة من أجل مصالح الدنيا، وأن يصبروا على مكاره الحياة وشدائدها، وأن يدفنوا المشاعر السلبية المنبعثة في نفوسهم، ولا يتخذوا أية خطوة أو إجراء علمي بدافع رد الفعل، ثم إنهم مطالبون بالاستقامة والثبات على مقاومة الأعداء الخارجيين، فإن هذا الثبات والاستقامة هو الشيء الذي يجلب إليهم نصره الله عز وجل، كما يجب - مع ذلك - أن يكون أهل الإيمان جميعاً ومتحدى الكلمة، مرتبطين بعضهم ببعض لأجل الكفاح الديني، فيقاوموا كل القوى المعادية صفًا كأنهم بنيان مرصوص .